إنجي علاء

قانون الكارما

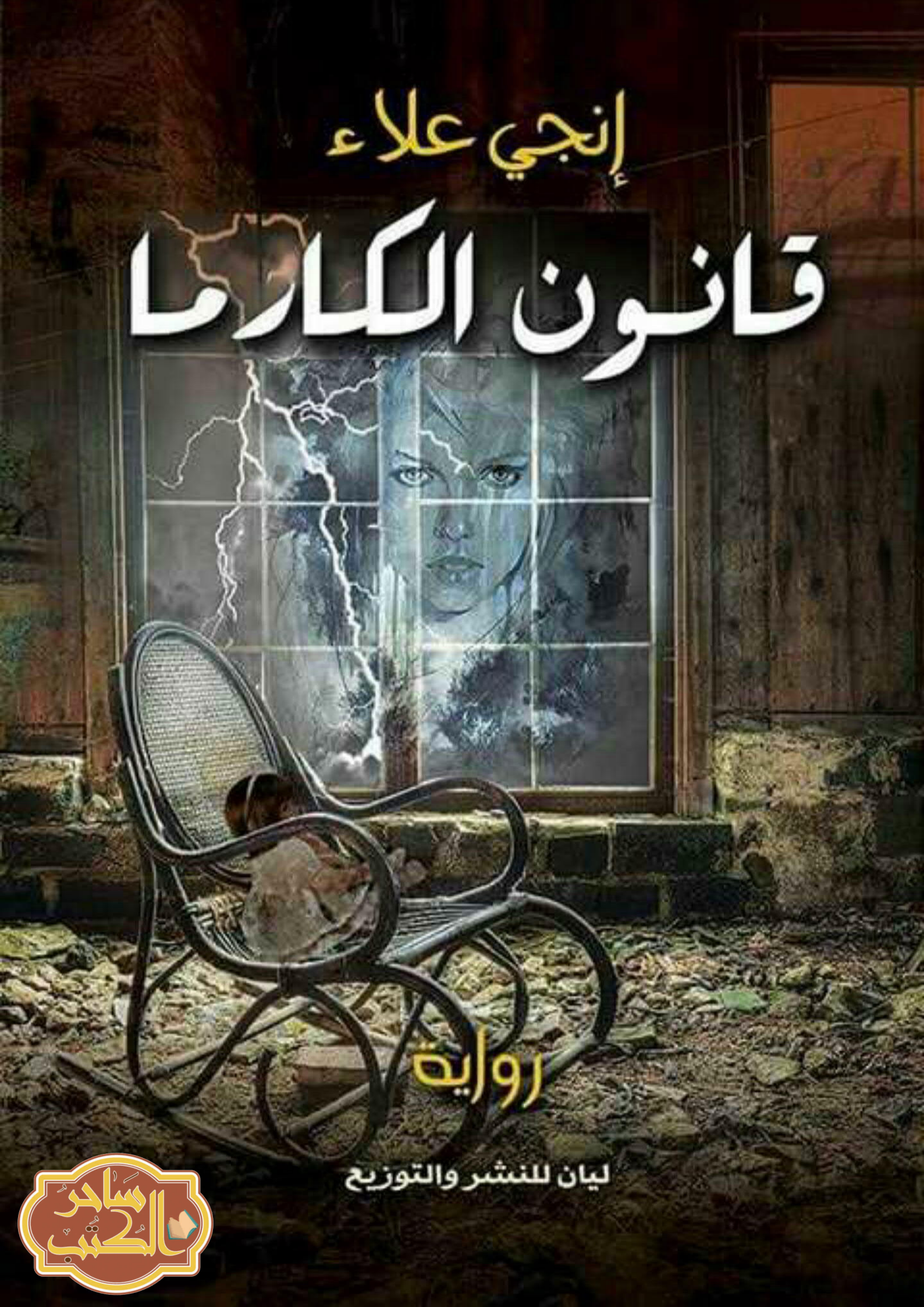

رواية

ليان للنشر والتوزيع

الكتاب:قانون الكارما

الكاتب: إنجي علاء

رقم الإيداع: 21548/2017

ISBN:978-977-800-080-1

تصميم الغلاف:إيمان صلاح

تدقيق لغوي- تنسيق داخلي: سُكونْ

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إهداء إلى

كل من يفتقد غاليًا عليه..

إلى كلِّ من يحطم ماضيه بيديه

إلى كل من يشتاق إلى روح تركته أو انقلبت عليه فلم تعد إليه..

إلى كل من يبحث عن نفسه في زمن الأحزان..

إلى كل من يحلم بالكيان ويتعطش إلى الحنان ويحن إلى الوجدان..

إلى كل من يخوض الحرب في رحلة الإيمان

«ليس بالضرورة أن تكمن الأرواح في الأجساد»

إنجي علاء

مقدمة

ما هو رد الفعل الإيجابي أو السلبي لأي فعل؟! ومن المسئول عنه؟ وكيف يحدث ومتى؟ أقوال وأفعال لها تأثير مباشر على حياة البشر حتى إنها أحيانًا تغيِّرها رأسًا على عقب، ومن شدة تأثيرها يؤمن البعض بوجود رد فعل لهذه الأفعال المؤثرة في حياتنا هذا التأثير العظيم فيؤمنون بأن لكل ما يصدر من نوايا وأقوال وأفعال ومشاعر سيعود إلى صادره بنفس التأثير ونفس القوة ليفعل به ما فعله بهم، ويسمونه بالكارما، ويعيشون على أمل تحقيق قانون الكارما، فمن فعلَ خيرًا سيجد خيرًا، ومن فعلَ شرًّا سيجد شرًّا بالنسبة لأنصار قانون الكارما، ولكن البعض منهم ينتظر أيامًا وشهورًا وأحيانًا سنوات طويلة ولا ينفّذ هذا القانون حتى يظل يطاردهم هذا الشبح، شبح الانتقام الإلهي لهم، ومن شدة إيمانهم بهذا القانون، لا يجدون سبيلًا إلا أن يحققوه بأيديهم، فهكذا لا يحدث خلل في تصرفات الطبيعة ومفاهيمها الدقيقة، ولا يحدث شرخ في إيمانهم؛ فالقدر هو السبب في تحقيق العدالة التي

ظلوا ينتظرونها، فيجب أن تنتصر المبادئ الكونية التي يؤمنون بها، ولكن لم يفكر أحد منهم أن رد الفعل المنتظَر من الممكن أن يكون أبعد من فِكر البشر المادي المحدود؛ فهل يمكن أن يكون قانون الكارما قانونًا كونيًّا يختلف عن القوانين الأرضية المعروفة؟! قانون أعمق من احتياجات البشر وأشمل من تخيلاتهم، فهل يمكن أن يُنفَّذ قانون الكارما في مكان آخر، في زمن خالد في حياة مختلفة بعيدة.. حياة حقيقية؟!

* * *

مَن أنتِ أيتها الملاك الصغير لتفعلي بي كل ذلك؟! فهل عليَّ أن أقبل أن أتخلى بهذه السهولة عن قطعة من قلبي؟! عن جزءٍ من جسدي؟! عن روحٍ من روحي؟! لماذا أتيتِ لحياتي، ولماذا تركتِها بهذه السرعة تاركة الألم والوحدة والضياع من بعدك.. من أنتِ لتفعلي بي كل ذلك؟! هل كنتِ وهمًا منذ البداية؟! وإن كنتِ وهمًا فسأظل أعيش وهمك حتى النهاية؛ فالوهم في هذه الحالة يعد لي الأمان عوضًا عن الخوف الذي لا أستطيع أن أتحمله في مواجهة الحقيقة، فمن أنتِ

أيتها الملاك الصغير لتفعلي بي كل ذلك؟! غيرتِ حياتي ولمستِ مشاعري وأطلعتِني على دنيا لم أكن أعلم عنها شيئًا، هل حياتي معكِ كانت لعبة؟! وإن كانت لعبة فهي لعبة الحياة التي أبحث عنها منذ نشأتي، مَن أنتِ لتفعل ضحكتك بي كل ذلك؟! ضحكتك البريئة التي لم تفارق خيالي لحظة، من أنتِ لتفعل عيناكِ بي كل ذلك؟ فمن أول مرة فتحتِ عيناكِ لتنظري إليَّ بكل طيبة واحتياج وحب لم أستطع مقاومتك فضممتك بشدة بين أحضاني ولم أتوقع للحظة ألا أجدك؛ فمنذ لحظة خروجك منّي وأنا أتعهد أمام الله ألا أتركك.. ألا أستغنى عنك، وألا أخذلك يا ابنتي الوحيدة، يا ملاكي الصغير، فمن أنتِ أيتها الملاك الصغير لتفعلي بي كل ذلك؟! هل أنتِ اختبار من عند الله ليختبر سبحانه إيماني؟!

هل عليَّ الرضا بفقدانك وفقدان الحياة معكِ؟! وهل سيغضب الله من صدق إحساسي؟ من تمسُّكي بكِ؟ من عشقي لك؟ هل عليَّ أن أتحمل كل ذلك الألم الذي يوجد مع تقبُّل الواقع المرير بدونك؟!

* * *

الهروب

«يارب.. رزقتني بابنتي من غير حول منِّي ولا قوة، والقدرة منك وحدك فهَب لي القدرة على رعايتها والرزق من عندك وحدك فارزقني لتلبية احتياجتها ولا تحوجني لأحد من خلقك فأنت الواحد الأحد المسيطر على هذه الدنيا، فلا تتركني أضعف من الإيمان بقدرتك العظيمة أن أحافظ على ابنتي..»

تجلس كارما أمام النافذة في غرفة ابنتها الرضيعة على كرسي خشبي هزاز وهي تحمل طفلتها النائمة في حضنها وتدعو الله بصوتٍ خافتٍ؛ فالأمطار غزيرة في الخارج ونقط الماء تسقط على زجاج النافذة بقوة كالرصاص، والسماء تهتز من الرعد وتزداد احمرارًا من البرق ولكن كارما تجلس أمام النافذة بثبات مستكملة دعاءها؛ فهي لا تشعر بالبرد ولا تخاف من صوت السماء المفزع فطوال ما هي داخل عشها تحتضن صغيرتها فهي ملكة قوية ذات نفوذ وسيطرة ولا يستطيع أحد أن يشعرها بخوف أو ضعف، فهي لا

زالت تهز الكرسي وهي تدعو الله بهدوء حتى يرن جرس الباب فتفزع كارما وتقف مسرعة لتضع الطفلة في سريرها الخشبي الصغير وهي ملفوفة ببطانية صغيرة الحجم وتفتح لها اللعبة المعلق بها عرائس صغيرة تتراقص فوق السرير لتستكمل نومها على أنغام اللعبة ثم تخرج كارما مسرعة من الغرفة وتصل للصالة لتفتح باب الشقة لتجد أختها الصغرى منى فتلومها كارما على رن الجرس في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل فتعتذر منى لها، فالنشاط والحيوية يظهران على منى فتأخذها كارما لتساعدها في تنظيف المنزل وغسيل أغراض الطفلة وتبدو كارما متحمسة لتحكي لمنى عن ما مرت به الليلة الماضية من معاناة في جعل طفلتها تنام فكانت الطفلة تبكي كثيرًا ولم تعلم ما بها، فتشير إليها منى أنه من الممكن أن يكون مغصًا أو شيئًا من هذا القبيل فتؤكد لها كارما أنها ستأخذها زيارة لدكتور الأطفال إن تكرر نفس الأمر هذه الليلة، ثم تتركها كارما في الحمَّام لتغسل الغسيل وتذهب هي لتحضر اللبن الصناعي في المطبخ ثم تسمع صوت الطفلة تبكي بصوت مرتفع يبدو وأنه

يزعجها بشدة فتترك الزجاجة وتضع يدها على أذنها وهي متضررة ثم تستكمل تحضير اللبن مسرعة ثم تنتهي من تحضيره وتأخذه لغرفة الطفلة التي تحملها من سريرها لتعطيها الرضعة فتضع زجاجة اللبن في فمها ويبدأ اللبن في السقوط على الأرض فتنفعل كارما على الطفلة الرضيعة:

- حرام عليكي ده خامس نوع لبن أشتريهولك.. يابنتي فيكي إيه بس تعبتيني!

وتحاول كارما وضع الزجاجة مرة أخرى في فم الطفلة، ولكن اللبن لا يزال يسقط على الأرض فتفقد كارما أعصابها وترمي زجاجة اللبن بعصبية.

ثم تكشف وجه الطفلة لنجد أنها طفلة غير حقيقية، فهي مجرد دمية، وتحدّثها بانفعال وهي تمسكها بعنف:

«إنتي بتعملي فيّا كده ليه؟! حرام عليكي؟!»

ثم تحتضنها وهي تبكي بحرقة

«أنا آسفة.. سامحيني يا حبيبتي»

وتقف منى على باب الغرفة وهي تحمل ملابس الطفلة التي جلبتها من الحمَّام لتطبقها في الصالة والدموع في عينيها؛ فهي لا تستطيع أن تشاهد أختها في مثل هذه الحالة ولكنها تحاول مجاهدةً أن تخفي حزنها على حال أختها فتغلق عليهما الباب دون أن تشعر كارما بها وتذهب في اتجاه الصالة، ثم تجلس لتطبق الملابس فتخرج لها كارما وهي منزعجة ومتوترة وترتدي «روبًا» على ملابس المنزل الخاصة بها والتي تبدو مهلهلة، وتحمل في يدها مفاتيح المنزل فتتعجب منى من استعداد كارما للخروج وتحاول أن تمنعها، ولكن كارما تصر على شراء دواء لطفلتها الرضيعة فتحاول منى مرة أخرى أن تقنعها بأن تنزل بدلًا منها لشراء الدواء ولكن كارما ترفض:

- سيبيني يا منى مافيش وقت البنت بتصحي كل نص ساعة.. لازم أنزل دلوقتي.

- خليكي إنتي جنب بنتك وانا هجيبلك كل اللي انتي وهي محتاجينه.

- مش هتطمن غير لو أنا اللي شرحت للصيدلي حالتها.. أنا اللي حاسة بيها.. والصيدلية آخر الشارع فمش هتأخر ماتقلقيش.

تتركها كارما مسرعة وتظل منى تقف واجمة حتى تغلق كارما الباب فتلقي منى بملابس الطفلة بانفعال وتخرج الموبايل الخاص بها وتتصل مسرعة بالدكتور سيف، وهو الدكتور النفسي المعالج لكارما، وتخبره بأنها خرجت من المنزل ولم تستطع إيقافها فينفعل عليها:

- إنتي اتجننتي يا منى؟!! أنا سايبها أمانة عندك.. إنتي رفضتي نحجزها في المستشفى وكاتبة على نفسك تعهُّد إنها في مسؤوليتك.

يظهر الغضب على وجه منى والاستياء من حديث الدكتور سيف العنيف لها:

- لو جرى لكارما حاجة هتبقي انتي السبب.. أنا جاي حالًا.

تخرج كارما من العمارة وتقف لحظة وتلف مرة أخرى لتدخل ثم تنظر حولها ولون وجهها يتغير إلى الاصفرار فهي مترددة وتبدو مشتتة، هل تذهب إلى الخارج إلى الدنيا التي لا تريد أن تواجهها، أم ترجع إلى دنيتها الخاصة بها والتي تشعر فيها بالأمان وتجد نفسها داخلها؟ ثم تسمع مرة أخرى صوت طفلتها تصرخ فتضع يدها على أذنها فهي تحاول ألا تشعر بالأمطار وبالجو المضطرب وتجري مسرعة تجاه الصيدلية حتى تصل أمام الصيدلية وملابسها مبللة وتدخل فينظر الصيدلي إليها باستياء ويتعجب من مظهرها الهزيل؛ فتطلب منه دواء مغص للأطفال سن ستة أشهر وتشرح له حالة طفلتها الصعبة التي أدت إلى سوء حالتها الصحية هي نفسها، فيعطيها الصيدلي دواء للطفلة ودواءً مهدئًا لها فتشكره ثم تخرج من الصيدلية لتجد سيارة جيب سوداء زجاجها فيميه أسود يخرج منها رجلٌ ويأخذها معه داخل السيارة

فتنظر إلى الصيدلي من خلال زجاج الصيدلية قبل أن تركب مع الرجل فيشعر الصيدلي بالريبة فهي ترتدي البيجاما ويبدو أنها في عجلة من أمرها فمَن هؤلاء الذين ظهروا فجأة ليأخذوها معهم؟! ولماذا تنظر إليه هذه النظرات المريبة؟!

يصل الدكتور سيف إلى منزل كارما فتفتح له منى، وعند النظر إلى وجهه تنسى منى انزعاجها على أختها؛ فالدكتور سيف أستاذ بقسم علم النفس بكلية الآداب بجامعة القاهرة التي تدرس بها منى، وهو مثلها الأعلى وإعجابها به واضحٌ عليها، فلطالما حلمت منى برجل عملي ناجح في حياته المهنية يتحمل المسئولية ليعوضها عن إهمال والدها لها هي وكارما بعد وفاة والدتهما عند الصغر واتجاهه إلى شُرب الخمر ولعب القمار وخسارته عمله وماله وأملاكه على شهواته الدنيوية، فكانت كارما هي التي تقوم بدور الأم في المنزل، فكانت تعمل وهي تدرس وتتحمل كافة مصاريف البيت ومصاريف الدراسة، وكانت منى دائمة الاستياء من والدها ومما يفعله ولم ترضَ يومًا عن

عيشتها غير السوية معه، فكان الدكتور سيف يكبرها بخمسة عشر عامًا، فهو ليس بالشاب الوسيم صاحب الكلام المعسول وروح الدعابة الذي تحلم به أي فتاة، بالعكس فهو جاد في قوله وفعله وصعب المراس وملامحه حادة، وحتى بِدله فلا يغيرها؛ فملابسه رسمية دائمًا، فرأت منى في الدكتور سيف الصفات التي تجرَّد منها والدها، وهي التي عرضت عليه حالة أختها ليشرف على علاجها، ولكنها لم تكن تعلم أنها تخطط لتعاستها بيدها؛ فاهتمام الدكتور سيف بكارما لم يكن الاهتمام الطبيعي لأي دكتور بمريضته، بل تطور مع الوقت إلى إدمان بها، ولكن لم تكن منى تريد أن تصدق ما تشعر به وما تراه يحدث أمامها من تطور للعلاقة بين الدكتور وكارما، وأرادت أن تستمر في الحلم الذي تحلم به.

تجلس منى في الصالة وأمامها الدكتور سيف الذي لم يجلس لحظة من التوتر على كارما، فهي لا تزال مختفية.

- كده كتير وانتي السبب، نِفسي أعرف هتفضلي لحد إمتى مهملة كده؟!

- والله قالتلي نازلة الصيدلية اللي تحت وراجعة على طول.

- إنتي عارفة كويس إن خروجها لوحدها ده فيه خطورة كبيرة عليها.. إزاي تعرَّضي أختك للخطر بالطريقة دي؟!! كنتي لازم تمنعيها بأي طريقة.

- إنت ليه بتحمِّلني فوق طاقتي.. ليه مابتفكرش فيَّا وانا وقتي كله ضايع في الطبطبة والتمثيل والعيشة الوهمية اللي عايشاها مع كارما؟!

- إنتي بجد متدلعة ومستهترة.. هي دي مشكلتك؟! مش قادرة تطبطبي شوية وتستحملي تقفي جنب أختك الوحيدة اللي مالهاش غيرك لحد ما تخف وتقدر تقف على رجليها! أومال هتعملي إيه لما تتخرجي وتعالجي مرضي ماتعرفيهمش ويحتاجوا منك الصبر سنين عشان يخفّوا؟!

- علي الأقل ساعتها هرجع بيتي وأتكلم مع أختي زي زمان، وهنخرج مع بعض ونفضفض لبعض وترجعلي كارما، الإنسانة الوحيدة اللي كنت بحس معاها بالأمان.. على الأقل مش هتفرج على أقرب إنسانة ليَّا وهي بتضيع قدامي وأنا كمان ضايعة من غيرها في حياتي.. على الأقل هطبطب في الشغل وألاقي اللي يطبطب عليَّا في البيت.

يخرج الدكتور من المنزل وهو في غاية الغضب، تاركًا منى وحدها والدموع تملأ عينيها وتسأل نفسها عن سبب معاملته لها بهذه الطريقة القاسية، فهل حبه لعمله وإخلاصه لمهنة الطب السبب في غضبه منها لما فعلته؟! أم حبه لشخص كارما وشعوره بغيرتها من هذا الحب؟! أم رفضه كإنسان لاستنزافها لحب كارما لها؟! فمنذ سنوات طويلة وكارما هي كل ما تبقى لمنى من أهلها، هي سندها وكل ما تريده تراه داخلها وتأخذه منها، فهل يرفض هذه العلاقة؟ أم يريد أن يأخذ مكان منى القديم في حياة كارما ويتمتع بعطائها، والسؤال

الأكبر المُحيِّر: لماذا لم يرِد أن يأخذ مكان الدمية في حياة كارما؟!

ينزل الدكتور سيف إلى الشارع يبحث عن كارما ويسأل البواب والسايس عنها، ولكن دون جدوى ثم يذهب إلى الصيدلية ويسأل الصيدلي الذي يحكي له عمَّا رأى فيشعر بالخوف عليها ويخرج من الصيدلية كالمجنون ينظر في كل مكان من حوله باحثًا عنها وسط الأمطار والجو الرعدي المرعب، فالسيناريوهات المختلفة تدور في رأسه، ولكن الخط الدرامي التراجيدي واحد؛ فكارما مصابة بفصام عن الواقع، أي فصام بين المشاعر والتفكير والأفعال، حيث يفقد المريض القدرة على التفكير بشكل واقعي ومنطقي ومترابط، مما يؤدي إلى اقتناعه بأفكار غير صحيحة اقتناعًا تامًا، ومن حيث المشاعر يقل تفاعله مع الآخرين عاطفيًا ومع الأحداث أيضًا. ومن حيث الإدراك يبدأ المريض بسماع أصوات أو رؤية أشياء غير موجودة على أرض الواقع، كما يفقد المريض الحيوية ويهمل في العناية بنفسه ويقل كلامه ويصبح

بلا هدف، يعمل بجدية وروتينية ولكن دون مشاعر أو طموح، فهو يعيش داخل قوقعته بطريقته وتخيلاته دون الاصطدام بالواقع أي دون الشعور بما حوله.

باب المنزل يرن فتفتح منى لتجد كارما تسقط مغشيًا عليها فتفزع وتحملها إلى الداخل بصعوبة وتنجح في وضعها على الأريكة في الصالة ثم تتصل مسرعة بالدكتور سيف الذي يرجع إليهما في لحظات محاولًا إفاقة كارما بشتى الطرق للاطمئنان عليها فيخبطها على وجهها ولكنها لا تتحرك ثم يرش ماءً عليها ولكن وضعها كما هو، ثم يصرخ في منى التي تقف مكتوفة الأيدي ليطلب منها أن تعطيه أي زجاجة معطر فتعطيه واحدة وهي مرتبكة فيرش بجانب وجه كارما فتتحرك حركة بسيطة فيبتسم سيف ويظهر عليه الاهتمام الشديد بكارما في هذه اللحظة، وتشعر منى بالغيرة من هذا الاهتمام، وتشعر بالحرقة لإهماله لها في ذات الوقت؛ فهو ينظر إليها نظرات لوم على ما حدث لكارما ويقلل من إمكانياتها طوال الوقت، وهي لم تعد

تحتمل ما يفعله معها، فحلمها يضيع مع أختها التي تضيع أمامها.

يرن جرس الباب فتنظر منى إلى سيف بتعجب؛ فمن الذي سيأتي إليهم في مثل هذا الوقت المتأخر، فيشير إليها بفتح الباب فتذهب لتفتح لتجد ضابط شرطة أمامها؛ فلقد أبلغ سيف الشرطة عن اختفاء كارما، ووصل الضابط ليحقق في حادثة الاختفاء، فيرحب سيف به ويحكي له عن ما حدث وتستمر كارما في الإفاقة بالتدريج فتحدِّث نفسها بصوت خافت:

-مش هتقدر تبعدني عن بنتي..

ثم يظهر عليها الفزع وبصوت مرتفع:

- ابعد عني.. سِبني أرجع لبنتي..

يحاول سيف أن يهدئ من روع كارما وهو في قمة الخوف عليها، وبالفعل تبدأ في الشعور بالاطمئنان وتنظر إلى منى التي تراقب الموقف من بعيد وأحاسيسها مرتبكة بين الخوف على كارما وبين

الغيرة على سيف ولكنها اشتاقت لهذه النظرة، نظرة الأم المملوءة بالحنان ففي هذه اللحظة تحتاج منى لحضن كارما أكثر من أي شيء آخر، ولكن تتغير النظرة في لحظة وتطلب منها كارما أن تجلب لها ابنتها بسرعة، فترجع منى مرة أخرى ضائعة تبحث عن الحنان والاهتمام والإحساس بالأمان لدرجة أنها تحسد أختها المريضة على شعورها بالأمان مع ابنتها (دميتها) وحتى وإن كان هذا الأمان وهميًّا ولكن يكفي أن كارما وجدت في هذا الوهم أمانها الذي حرمت منه سنينا طويلة.

الضابط يسأل كارما عن سبب اختفائها ولكنها لا ترد عليه ويبدو وأنها مصرة على عدم الحديث مما يثير ريبة الدكتور سيف الذي يحاول أن يطمئنها بكل الطرق ويضغط عليها لتجاوب الضابط ولكنها تغضب منه وتأخذ ابنتها (دميتها) من يد منى وتضمها إلى حضنها وتتركهم وتذهب بها إلى الداخل، فيندهش الضابط من فعلها الغريب فيحكي الدكتور سيف له عن حالتها النفسية المتأزمة منذ وفاة ابنتها ثم يروي له ما شاهده

الصيدلي قبل اختفاء كارما، فيطمئن الضابط الدكتور بأنه سيتابع الموضوع ولكن يشعر سيف بأن الضابط غير طريقة كلامه بعد معرفته بحالة كارما وأنه لن يفعل شيئًا في البحث عن الذين خطفوها، فيبدو أن الذي يعيش في عالمه الخاص دون أن يؤذي أحدًا ليس له الحق في الاستمتاع بدنيته الخيالية السعيدة دون أن يتم إيذاؤه.

الجميع لا يريدون كارما أن تبقى في العالم الذي صنعته لتعيش فيه، لا يشجعونها على ذلك بل يحاولون بكل الطرق المتاحة لتغيير ما تفعله كارما، فلماذا سلكت هذا الطريق ولماذا تشعر فيه بالراحة والأمان؟ فهم يسألون أنفسهم ويقررون كلٌ منهم لغاية مختلفة عن الآخر أن يغلقوا جميع أبواب هذا الطريق الذي وجدت كارما من خلاله نفسها الضائعة، سيغلقون الأبواب ويحرقون المكان ويهدمون الأحلام ويطفئون أنوار الأمل ليحققوا قوانينهم البائسة معتقدين أنها الطريقة المثلى للوصول إلى غايتهم دون النظر بدقة مرة واحدة إلى كيفية وصول كارما إلى هذه الأبواب،

وعبورها لتصل لتلك الأحلام في ذلك المكان، فلا يهم أحد ما يعني ذلك إليها، المهم إثبات نظرية كل منهم بالرغم من أن النظرية التي اعتمدت كارما عليها هي من أعقد النظريات في الحياة: نظرية التعلق؛ فعند الشعور بالحاجة إلى الحب، والحاجة إلى الوجود، ينقلب هذا الشعور الجميل إلى كارثة أحيانًا فنتعلق بأشخاص ولا نستطيع اتخاذ قرار التخلي عنهم، مما يُسمَّى بالتعلق المرضي، والتعرف على إن كان التعلق طبيعيًّا أم مرضيًّا هو عن طريق الإجابة على سؤال واحد فقط، فهل يسبِّب لك هذا التعلق المتاعب؟ فإن كان يسبِّب لك متاعب فهو تعلُّق مرضيّ، وهو لا يحدث وليد يوم وليلة ولكنه نتيجة لتكوينات بيولوجية وعاطفية وأحيانا نتيجة لنشأة غير سوية، فلم تجد كارما في ماضيها من يشعرها بالحب أو الوجود؛ فهي تخدم والدها وأختها منذ وفاة والدتها من وهي في سن الطفولة منذ أن كانت في الثامنة من عمرها، لم تعش مثل بقية الأطفال فلم تجد الوقت أو المجال لتشعر بما يشعرون به، وهي كانت تخدم ولم تكن تساعد؛ فالفرق كبير بينهما، فوالدها تدهورت حالته

بعد وفاة والدتها ولم يعد يتحمل المسئولية فاختارت أن تتحملها هي؛ فقضت سنوات طفولتها تغسل المواعين والسجاجيد وتنظف الأرضيات والحمامات والبلكونات وتكوي الملابس وتطبقها وترتب الكتب لمنى والسجاير لبدران، وعاشت سنوات شبابها تتعلم كيفية تحضير وطبيخ الطعام لتحضر الفطار والغداء والعشاء وحتى القهوة والنسكافيه والكاكاو والشاي الأسود والأخضر والأبيض، هي الوحيدة التي كانت تحضرهم لوالدها وأختها، وعندما كانت تمرض كانت تمسك بالمصحف وتحتضنه في السرير حتى تتعافى وترجع لتجد المنزل كـ «الزريبة» فتبدأ في عملها من أول وجديد، وبعد زواجها لم تربطها بزوجها علاقة حب حقيقية، فهو كان أيضًا يريدها كخادمة له ولم يحبها أو يتعرف على ما بداخلها للحظة، فكانت ابنتها التي لم تتعرف عليها سوى ستة أشهر هي طوق النجاة لها.

يخرج الضابط من منزل كارما تاركًا الدكتور سيف متوترًا وقلقًا؛ فيحاول أن يقنع منى بأن تعيش مع

أختها في نفس المنزل لفترة حتى يتم شفاؤها فهذا هو الحل الأمثل الذي سيساعد على علاجها فتركها وحدها خطر على حياتها ونقلها إلى المستشفى من الممكن أن يؤدي إلى إصابتها بالاكتئاب، فلم تجد منى أي ردٍّ مقنع غير القبول؛ فهي لا تريد أن تكون الأخت الشريرة في نظر الدكتور مَثَلُها الأعلى وحلم حياتها ولا تريد أن تخذله ولكن شعورها بأنها تحطم حلمها بيديها يقتلها، فهي تعلم من داخلها أن شفاء كارما يعني زواجها من سيف وهي لن تستطيع تحمل مثل هذا الحدث ولكنها في ذات الوقت تشتاق لاهتمام أختها بها وتريد أختها في حياتها مرة أخرى، أختها الحقيقية وليس الوهمية، فمن تراها أمامها شخص لا تعرفه، أما سيف فهو يشعر بمنى ويعلم أنها منجذبة له ولكنه يراها طفلة لم تنضج بعد، فهو يشعر بأنه كوالدها وهي لا تنزعج من هذا الشعور فهي تتمنى أن يكون والدها كَسَيف، ولكن سيف يتجرد من رداء الحكمة ويرتدي رداء الحب والرومانسية ولا يرى العشق إلا في عيني كارما.

يترك سيف منى ويخرج من المنزل وعند خروجه من العمارة، وقبل أن يركب سيارته ينظر إلى العمارة التي خرج منها ليجد كارما تقف أمام الشباك تحمل «دميتها» ابنتها ثم تظهر منى من خلفها مما يصيبه بالحيرة، فهل ستساعد منى كارما على تجاوز هذه المحنة أم ستعميها نار الغيرة عن مساندة أختها؟ وهل إعجابه بكارما سيعوقه عن تأدية واجبه باحترافية ويتحول من دكتور مهني إلى عاشق مجنون يستعجل علاجها بأي طريقة وحتى وإن كان ذلك سيحدث بطريقة غير طبية؛ ففي الطب العلاج النفسي يحتاج أحيانًا إلى سنوات طويلة، والاستعجال في العلاج من الممكن أن يؤدي إلى فترة تعافي وجيزة ثم يعود المرض مرة أخرى ولكنه في هذه الحالة سيعود أشرس مما كان عليه.

تلتفت كارما لتجد منى خلفها فتشير إليها بعدم إصدار أي صوت حتى لا توقظ الطفلة ثم تضع «الدمية» «الطفلة» في سريرها وتخرج من الغرفة مع منى التي تنظر متعجبة إلى كارما التي تتعجب هي الأخرى من

نظرات منى لها، فيجلسان على الأريكة في الصالة وتأخذ كارما ملابس الطفلة المتناثرة في جميع أنحاء الصالة وتلوم منى على عدم ترتيبها ثم تبدأ في تطبيقها ولا تزال منى تنظر إليها متعجبة فتسألها كارما عن سبب هذه النظرات الغريبة فترد منى بجدية:

- مش قادرة أكمل في التمثيلية دي..

ترد عليها كارما وهي لا تزال ترتب ملابس الطفلة:

- تمثيلية إيه؟ مالك فيكِ إيه؟! إنتِ مش طبيعية خالص!

- لازم تفوقي.. لازم تخرجي من الدنيا اللي انتي مألفاها وعايشة فيها وفاكراها حقيقية وهي مجرد بنج بتبنجي بيه نفسك.. واجهي الحقيقة يا كارما.

تبتسم لها كارما ببرود وتقترب منها ويبدو أنها لا تعي ما تقوله منى:

- إنتي لسه صغيرة يا حبيبتي ولما تكبري شوية هتعرفي إن مافيش حقيقة.. الحقيقة اللي بتتكلمي عنها دي مش موجودة يعني مافيش حقيقة أواجهها.. مافيش دنيا حقيقية أعيشها.. أنا اضطريت أصنع عالم أعيش فيه وأسمّيه حقيقة زي باقي الحقايق اللي الناس عايشة فيها وبتشتغل عشانها وتتعب ليها وتحلم بيها ومصدقاها.. أنا عملت كده وأنا عارفة إني زي كل الناس عايشة في وهم كبير بس على الأقل وهم مريحني.

تحمل كارما الملابس المرتبة وتدخل بها إلى غرفة الطفلة (الدمية) تاركة منى وحدها في الصالة وهي مندهشة من ثقة أختها في نفسها وسلامها الداخلي مع نفسها فلولا أنها ترى الدمية بعينيها لن تشعر أن كارما مريضة، فهي تعيش حياة طبيعية جدًّا كحياة أي أم مع طفلتها وتعاني نفس المعاناة وهي مرتاحة بها وتحلم بنفس الأحلام التي تسعدها معها، فهي أحيانًا لا تراها مريضة بل ترى فيها معجزة وتتمنى أن تكون مثلها.

ثم يرن موبايل منى فترد على والدها الذي لم يجدها في المنزل فيسأل عنها فتحكي له عن ما حدث لكارما أنها ستمكث لديها لفترة بناء على تعاليم الدكتور مما يصيب والدها بالغضب فهو يعتمد على منى في كل شيء منذ مرض كارما فهي التي تغسل ملابسه وتطبخ الأكل وترتب وتنظف المنزل فهو يحتسي الخمر يوميًّا، ويرجع كل ليلة لا يشعر بنفسه، كما أنه يريدها أن تترك دراستها لتعمل وتصرف عليه وعلى المنزل فمنذ مرض كارما وهو لا يجد المال ودَينه يزداد يومًا بعد يوم فحالته يرثى لها فينفعل على منى في المكالمة ويغلق الخط في وجهها.

تدخل منى غرفة الطفلة (الدمية) لتجد كارما نائمة على الكرسي الخشبي الهزاز كما يحدث كل ليلة والدمية في سريرها والجو شديد البرودة فتغطي كارما وتغطي الدمية وتنظر إليهما وتشعر بالحيرة التي تطارد تفكيرها؛ فكارما سعيدة بحياتها مع الدمية تشعر معها بالأمان والراحة وفراقها يعني الموت لها فلماذا كل هذا المجهود لإخراجها من هذه الدنيا التي

صنعتها بنفسها لتسعدها؟ ثم تراجع منى نفسها وتسأل نفسها: هل هي تخاف من علاج كارما حتى لا ترتبط بسيف ويعيشان حياة طبيعية وتفقد هي حلمها لذلك تراودها هذه الأفكار عن ما تمر به أختها فتريدها كما هي؟ أم تخاف من اصطدام كارما بالحقيقة مما يمكن أن يفقدها الباقي من أختها الوحيدة؟ ثم تغلق الإضاءة وتخرج من الغرفة وهي تحاول مجهدة إخراج هذه الأفكار من عقلها لتبقى أختها مريضة في نظرها وتحتاج إلى المساندة والعلاج.

في صباح اليوم التالي تفتح منى عينيها فتدخل مباشرةً إلى غرفة الدمية لتجدها في سريرها وبجانبها رسالة من كارما مكتوب فيها أنها خرجت، وأنها حَضَّرَت للطفلة الرضعة وتركتها في الثلاجة وتطلب منها في الرسالة أن تعطيها لها عند استيقاظها، فترمي منى الورقة مسرعة ولا تعلم ماذا تفعل، فإن اتصلت بسيف سيتهمها بالإهمال وإن خرجت لتبحث عنها ورجعت كارما ستثور عليها لتركها الطفلة (الدمية) وحدها في المنزل، فتجلس مكانها وتنظر إلى عقارب

الساعة متمنية أن تجري بسرعة حتى يفوت الوقت دون أن تشعر بما تشعر به من أحاسيس مؤذية تكاد أن تكون تعذبها.

تصل كارما أمام مبنى شركة مقاولات يبدو فخمًا من الخارج فجدرانه تكسوها المرايا اللامعة والرخام القيم، فتخرج من التاكسي وهي ترتدي ملابس مهلهلة كعادتها وألوانها غير متناسقة ووجهها شاحب وجسمها هزيل، وتتجه ناحية المبنى لتدخل وسط عالم رجال الأعمال الأثرياء والموظفين والموظفات الذين يتصفون بالأناقة والوجه الحسن فتبدو شاذة وسطهم، وينظر إليها الجميع باستغراب ولكنها لا تبالي وتتجه إلى السلالم لتصعد دورًا تلو الآخر حتى تصل إلى الدور الرابع حيث يوجد مكتب رئيس مجلس إدارة الشركة فتدخل عليه مسرعة وتحاول السكرتيرة اللحاق بها ولكنها لا تعير أحدًا أي اهتمام فيقف فهد عزيز الصاوي، رئيس مجلس الإدارة، مندهشًا من دخول كارما عليه بهذا الشكل ولكنه يشير إلى السكرتيرة بالخروج من المكتب فتخرج متعجبة من

الموقف، فتنظر كارما إلى فهد شزرًا ثم تجلس أمامه وتوبخه على إهماله لابنته وتلومه على أنه لا يزورها ليطمئن عليها ولا يصرف على احتياجاتها فهي منذ أن تركت عملها وليس هناك دخل لتصرف منه على بيتها وعلى ابنتها، وأن المبلغ الذي ادخرته من عملها من قبل اقترب على النفاد وأن عليه أن يقوم بدوره اتجاه ابنته، فيحاول فهد في البداية أن يهدئ من روع كارما وإقناعها بأن تعود إلى المنزل وأنه سوف يقوم بالسؤال عنها، ولكنها تصمم على أن تأخذ منه حق ابنتها، ونفقة شهرية لها، وتطلب منه مبلغا من المال فيوعدها بأنه سيرسل لها مبلغًا من المال كل أول شهر ثم تقف وبانفعال:

- إنت مش مكسوف من نفسك؟ بص حواليك كده.. كل الهيلامان ده ومستخسر في بنتك ألفين جنيه في الشهر ثَمَن اللبن والبامبرز بتوعها! مستخسر تيجي تلعب معاها شوية كل إسبوع تشوفها وهي بتكبر.. إنت اكيد مش اب.. إنت جنسك إيه؟!

يخرج فهد عن شعوره ويقف ليواجهها بالحقيقة:

- فوقي بقى يا كارما.. بنتنا ماتت من خمس سنين وانتي كل يومين تجيلي تقولي نفس الكلام.. مرة الدكتور يجي يديكي حقنة مهدئة ومرة منى تاخدك من هنا بفضيحة ومافيش حاجة هترجَّع البنت تاني.. انسي بقي وابدأي حياتك من أول وجديد.. انسيها وانسيني أنا كمان.

- إنت كداب.. كداب.. إنت بتقول كده عشان تتهرب من المسئولية.. بتتلفت حواليك كل ثانية عشان خايف حد يسمعني ويعرف إنت قد إيه بني آدم جبان وبخيل وندل.. أنا اللي غلطانة إني اخترت غلط وكنت سبب في إنك تكون باباها.. مافكرتش يا بيه يا كبير يا اللي بقيت أشهر من النار على العلم بنتك دي لما تكبر...

يضع فهد يديه فوق رأسه فيصل إلى نتيجة بأنه ليس هناك فائدة من الحديث معها ثم تدخل السكرتيرة ومعها الدكتور سيف وممرض فتتعجب كارما من رؤية الدكتور سيف ثم يكتفها الممرض فتصرخ وتطلب النجدة.

- إنت إيه اللي جابك هنا؟! إنتوا أكيد متفقين مع بعض..

يعطيها الدكتور سيف حقنة لتفقد الوعي ثم يحملها ويخرج بها من المكتب وهو حزينٌ على حالها. خمس سنوات ولم تستطع كارما تجاوز ما حدث لابنتها، فتزوجت كارما منذ ثماني سنوات من رجل الأعمال فهد الصاوي، كانت أخته زميلتها في العمل ورآها وأعجب بها فتزوجها على الفور، وفي بداية الزواج لم تستطع الإنجاب، ولم يكن فهد رجل أعمال ثريًا أو مشهورًا فشجعته على العمل وساعدته بأفكارها فجعلته يشعر بالاستقرار ليركز في عمله؛ فكعادتها ضحت بمطالبها وبإحساسها كإنسانة تريد أن تشعر بالاهتمام بها وكسَيِّدة تريد الشعور بانوثتها فلم يتبقَّ إليها إلا الأمومة لتتشبث بها، وصبرت حتى أراد الله في يوم ما أن تحمل وكانت أسعد لحظة في حياتها هي لحظة إنجاب ابنتها وعاشت أحلى ستة أشهر في حياتها مع ابنتها، وبالرغم من التعب والإجهاد فكانت تشعر بأن ابنتها هي الكائن الوحيد الذي تتعب عشانه

وتشعر بالراحة مع هذا التعب بل بالسعادة والاكتفاء؛ فالطفلة بريئة لم تطلب منها أي مساعدة ولم تستغلها لمصلحة أو حتى لراحة نفسية كمثل كل من تعاملت معهم في حياتها، فشعورها كان لا يقدَّر بثمن بالنسبة إليها، وفي يوم إتمامها الشهر السادس استيقظت كارما من النوم ولم تجد ابنتها، وعلمت بعد ذلك أن زوجها أخذها معه إلى السوبر ماركت حتى يعطي فرصة لكارما أن تنام بعد ليلة عصيبة مع الطفلة ولكنه تعرض لحادث سيارة

أدى إلى وفاة الطفلة التي كانت على كرسي الأطفال الخاص بالسيارات في الخلف وراحت في الحادثة أما فهد فتمت إصابته بإصابات طفيفة، وعند علم كارما بما حدث لم تستطع تحمل الخبر وأصيبت بحالة نفسية واستبدلت ابنتها بدمية، تخيلت حتى اعتقدت أنها ابنتها فلم ترِد أن تعيش واقع وفاة ابنتها وعاشت داخل الحقيقة التي صنعتها لنفسها حتى يومنا هذا.

يحجز الدكتور سيف كارما بالمستشفى ويتصل بوالدها ليحضر إليه ويتصل بمنى ويطلب منها أن تحضر

الدمية معها إلى المستشفى، ثم يدخل الدكتور سيف على كارما ويتأملها وهي لا زالت مستغرقة في النوم من تأثير الحقنة المهدئة التي أعطاها لها ويشعر بمشاعر متوهجة تجاهها؛ فهو لا يرى كارما هزيلة مريضة كما تظهر للجميع، بل يراها أجمل نساء الأرض ولا يعلم لماذا يشعر تجاهها بهذا الحب العميق فهي أصبحت مصدر إلهامه ليمضي في يومه بنجاح وسعادة فعندما ينظر إليها يشعر بشُحنة إيجابية تجعله نشيطًا ومقبلًا بحماس على الحياة، فهل يمكن أن نرى النور داخل الظلام، وهل يمكن أن يكون النور هو الظلام؟! فأحيانًا نعتقد أننا نعيش في الظلام وعلينا أن نخرج إلى النور، وعندما نخرج نكتشف أن النور كان أمامنا ولكن ظلمات الحياة أعمَت أعيننا عنه.

يقف والد كارما «بدران كمال بدران» أمام الغرفة، فيلاحظ الدكتور سيف وجوده من خلال الزجاج فيخرج ليرحب به ويأخذه على مكتبه ويشرح له أن كارما تحتاج إلى المكوث بالمستشفى ليتم علاجها بالشكل المطلوب، فهو كان يأمل في رعاية أفضل من

رعاية المستشفيات، لذلك أوصى منى من قبل برعايتها حتى يبعد عن جو المرضى والمستشفيات حتى لا يؤثر سلبًا على حالتها النفسية، ولكنه قرر أن يبقيها بالمستشفى نظرًا لسوء حالتها وأنه سيشرف على علاجها بنفسه في المستشفى فهي وصلت لحالة نفسية حرجة. وعلى عكس المتوقع من أي أب في هذا الموقف فلم يبالِ بدران أين وكيف سيتم علاج ابنته، ولم يبالِ كيف وصلت لهذه الحالة ولم يهتم بما تعاني منه، ولكنه اهتم بشيء واحد فقط: بتكلفة العلاج فبكل صراحة أو وقاحة يوضِّح للدكتور سيف أنه ليس مستعدًا ليساهم بأي مبلغ مالي في علاج كارما، فيعرض عليه الدكتور أن يقوم هو بتحمُّل كافة التكاليف، فيأخذ بدران الورق ويمضيه مسرعًا ورقة تلو الأخرى وكأنه يريد أن يتخلص من كارما ومن هَمّ كارما، وبالفعل هو لا يستطيع أن يتحمل نفقاتها التي تزيد كل يوم مع مرضها، ويراها فرصة لتعود منى وتهتم بالمنزل وبه مرة أخرى، فاحتياجه للمال قضى على مشاعره كأب، وأنانيته جعلته كالماكينة التي لا تعمل إن لم تجد ما يشغِّلها؛ فهو لا يشعر بمعاناة ابنته

وخوفها على ابنتها الوهمية وصراعها مع المرض النفسي الذي يتوغل داخلها دون وعيها أو شعورها به، كما أنه لا يشعر بابنته الأخرى المحرومة من اهتمامه بها، من واجبه تجاهها، من أي سند تلجأ له عندما تقسو الدنيا عليها، فأين حقها من الرحمة في الحياة؟ أين حقها من وجود أب يحتويها ويهتم باحتياجتها المعنوية والمادية خصوصًا في غياب أمها، فهي تتعذب من رفض الدكتور لها، الدكتور الذي تعلقت به بسبب تخلّي والدها عن دوره الأساسي كأب لها، وليس فقط التخلي عن دوره كأب بل وإسناده لابنتيه لتقوما هما بتحمل مسئولية بيته دون مراعاة لكونهما بنتين في سن صغير ووالدتهما متوفاة وتحتاجان لمن تسندان عليه ظهرهما وليس العكس، فإمضته ليست بمثابة إمضاء على حجز غرفة بمستشفى، بل هي إمضاء على عقد تخليه بالكامل عن مسئولية ابنته، إمضاء على عقد يقضي على ذكرياته مع كارما، عقد ينهي أبوَّته لها.

تصل منى إلى المستشفى وفي يدها الدمية وتسأل على الغرفة التي توجد بها كارما وتذهب إليها وتدخل لتجدها لا تزال تحت تأثير الحقنة المهدئة نائمة؛ فتضع الدمية بين يديها وتخرج لتجد الدكتور سيف ووالدها أمامها فتتعجب من وجود والدها فيشرح لها سيف الوضع فتنظر إلى والدها نظرة استحقار لقبوله ترك كارما في المستشفى مع العلم أنها لا تستطيع أن تكفي متطلبات علاج كارما ولكنها تشعر أن الوقوف بجانب كارما ليس مسئوليتها وحدها بل مسئولية والدها في الأساس الذي يبدو وأنه وجدها فرصة لترك ابنته واستغلال اهتمام الدكتور سيف بها ليتحمل هو مصاريفها ورجوع منى من قبل للبيت لتهتم باحتياجاته فتنفعل منى بشدة عليه وتحاول أن تقنعه بأن تعيش كارما معهما في منزله مرة أخرى وأنها سترعاها وترعاه هناك، ولكنه يرفض ويتهرب بأي طريقة من مسئولية كارما ومن طلب منى، ويواجهها بأنه لا يستطيع أن يتحمل مصاريف كارما، وأن الدكتور سيف هو الذي سيتحمل كافة المصاريف بالمستشفى مما أثار استياءها أكثر

- لو ماما كانت معانا ماكانش كل ده حصل.. مَاكُنتش هتقدر تقولها أنا هخلي راجل تاني يصرف على بنتَك العيانة.. بنتَك اللي ياما صَرَفِت عليك إنت شخصيًا وغسلتلك هدومك وطبختلك أكلك وغطتك وانت نايم.. ما أعتقدش إن كارما كانت هتتمسك بإحساس الأمومة لدرجة إنها ما تعرفش تعيش من غيره وتخسر مخها لو كنت إنت إديتها اللي اتحرمت منه من يوم ما ماما ماتت.

تترك منى والدها والدكتور سيف الذي يقف معهما محرجًا مما يحدث وتخرج من المستشفى ودموعها على خدها، تشعر بالحسرة على حالها وعلى حال أختها، كما أنها تشعر بالغيرة من وجود كارما مع الدكتور سيف في مكان واحد دون وجودها، وكالعادة تتضارب مشاعرها ولا تستطيع أن تتجاهل أي شعور منها.

يدخل الدكتور سيف على كارما التي تفتح عينيها وبهدوء تضم ابنتها (الدمية) لحضنها ثم تحدِّثه بأسى عمَّا فعله فهد بها عندما ذهبت إليه في الشركة فعاملها

بقسوة واستعر منها كعادته، وحاول بكل الطرق التهرب من المسئولية، وتستكمل حديثها موضحة أنها لم تعد تحبه ولم تعد تحترمه، ولكنها مجبرة على التذلل إليه لأنها تخاف على مستقبل ابنتها وتريد أن تؤمّنه لها ولكنها لم تعد تستطيع أن تعمل نظرًا لظروف مرضها وفهد هو الحل الوحيد لتضمن حق ابنتها في الاستقرار المادي حتى لا تحتاج للمال وتتذلل للأغراب في حياتها، وحقها المعنوي في وجود أب لها يكون سندًا لها في هذه الدنيا الصعبة التعايش، وتستمر في الحديث مع سيف ويتعجب أنها تحدثه عن أن فهد لا يزال زوجها ويستمع إليها جيدًا ليحلل حالتها ويكتشف أن ما قاله لها فهد في الشركة هذه المرة صدمها فزادت الاضطرابات والهلاوس لديها؛ فعند تعرض مرضي الفصام للصدمات والقسوة يزداد انفصامهم عن الواقع، وتأكد سيف أن في هذه المرحلة احتجاز كارما سيكون ضروريًّا لضمان سلامتها؛ فمرضى الفصام يريدون أن يشعروا بالأمان، وبأن هناك من يعتني بهم ويشعر بهم، يفهم ما هم يعيشونه ويتفهم الصعوبات التي يواجهونها، فهم لا يريدون من

ينصحهم بالتماسك والقوة، أو من يحاول أن يقنعهم بالاستغناء عن عالمهم وخيالهم بل يحتاجون إلى من يحتويهم حتى يخرجوا بسلام من هذه الحالة النفسية المرهقة لهم ولمن حولهم، ومن أهم وسائل العلاج، تقديم الأغذية السليمة والنوم الكافي والنظافة الأساسية لهم؛ فوضع الدكتور سيف جدولًا لكارما ليتابعه بنفسه، فجرت العادة أن يتابع سيف مرضاه بالدواء ومتابعة تطور حالاتهم، وأحيانًا العلاج السلوكي (بالجلسات المتكررة) للمريض أما الوضع بالنسبة لكارما تطور مع الوقت فهو يعطيها الدواء بنفسه يوميًا ولا يثق في أي ممرضة فيتابع غذاءها وحتى فيتامينها الأوميجا 3 يعطيه لها بيده، فقد يكون من الصعب أن تستجيب عندما ترى أحدًا يعتقد في شيء لا تراه، ويعيش في دنيا لا تعيشها ولا تقتنع بوجودها، ولكن من الممكن أن تمثّل أنك متفهم للحالة كما يفعل سيف عادةً مع مرضاه، ولكن مع كارما الوضع مختلف فيستطيع أن يشعر بها بالفعل ويعيش معها داخل دنيتها التي صنعتها لنفسها، فهو يسمع معها أصواتًا ليست لها وجود، ويراعي معها ابنتها التي هي

في الحقيقة مجرد دمية، ولكن هذه الدمية بالنسبة له هي الشيء الذي جمع بينه وبين كارما وقرب بينهما فلها معزَّة خاصة عنده، ولكن ينتاب سيف أحيانًا شعورٌ بالذنب فعليه كطبيب ألا يجاري الحالة المرضية بالفصام لأبعد الحدود؛ فالعلاج السلوكي يتضمن أن يشعر الشخص القريب من المريض به ولكن يوضح له أنه لا يعاني من نفس الأعراض أي أنه لا يسمع معه نفس الأصوات التي يسمعها ولا يرى ما يراه ولكنه يتفهم ما يراه ويشعر بما يشعر به من قلق ووساوس وتوتر وخوف، ولكن سيف لم يكن ناجحًا في الفصل بين كونه طبيبًا وكونه حبيبًا، وفضَّل أن يكون حبيبًا لكارما ويسمع معها الأصوات التي تطاردها ويعيش معها الحالة النفسية التي تعيشها ولكنه كان يصدم أحيانًا من سلوكياتها الغريبة وانفعالاتها غير المبررة (فيُهيَّأ للمصابين بمرض الفصام أن العالم المحيط بهم مركب من خليط كبير من الأفكار، المناظر والنغمات، وقد يكون السلوك المميز للأشخاص المصابين بمرض الفصام غريبًا جدًّا بل مرعبا أحيانًا. التغيير المفاجئ الذي يحدث في شخصية المريض والذي يجعله يفقد

أي صلة مع الواقع يدعى المرحلة الذهانية)، وعندما تصل كارما إلى أشد درجات المرحلة الذهانية تتحول حالتها إلى حالة شِبه جنونية شديدة الصعوبة والتعقيد حتى يفشل الدكتور سيف في التعامل معها، ولكنه لم يفقد الأمل لحظة في علاج كارما واستمر في مساندتها بكل ما استطاع من علم ومال ووقت ومجهود، وأهم ما استطاع تقديمه لها هو الحب والأمان؛ فلقد أحَب مرضها حتى وهي في أصعب حالاتها، تأقلم عليها وتعود على أن يراها يوميًّا ويتابع علاجها ويقوم بمساندتها حتى أدمنها ولكن شغفها بابنتها تحوَّل إلى شغف له هو الآخر فيحاول أن يساعدها بكل الطرق حتى تشفى فتتخلص من هذا الحلم الذي لن تصل إليه أو تظل مريضة ولكن دون أن تصطدم بالواقع في يوم من الأيام فتزداد حالتها سوءًا.

كارما في غرفتها تمسك بابنتها (دميتها) وهي في حالة عصبية تضع يديها على أذنيها وتصرخ:

- كفاية عياط.. مش قادرة أستحمل.. حراااام.

ثم تضع يدها على المصحف:

«يارب.. رزقتني بابنتي من غير حول منّي ولا قوة، والقدرة منك وحدك فهب لي القدرة على تحملها فلا تحمِّلني ما لا طاقة لي به فارزقني الحكمة للتعامل معها والقوة للسيطرة عليها ولا تحوجني لأحد من خلقك فسبحانك تعلم ما يصيبني من عذاب.. سبحانك خلقت هذه الدنيا فلا تتركني أضعف من الخروج منها بسلام..»

إن الدكتور سيف يعلم جيدًا أن «مرض الفصام قد يسبب للمصابين به الخوف والانطواء على النفس؛ فبالرغم من كونه مرضًا مزمنًا يلازم المصاب به طوال فترة حياته لكن يمكن السيطرة عليه بواسطة العلاج الدوائي المناسب والعلاج السلوكي المناسب» فاستمر في رحلته التي يؤمن بها مع كارما دون التردد لحظة في اختياره بالتضحية بحضور مؤتمرات طبية عالمية وعلاج مرضى آخرين ومتابعة عيادته وكرس كل وقته لكارما حتى التدريس تركه ولم يعد يذهب إلى الكلية.

تجلس منى تذاكر في غرفتها بمنزل والدها ثم يدخل عليها وهو يترنح ويبدو مخمورًا ويطلب منها أن تحضر له العشاء فتستاء من منظره وتهاجمه:

- إنت إيه! مابتحسش.. بنتك مرمية في المستشفى وأنا عندي امتحانات وانت مابتعملش حاجة غير إنك بتسكر صبح وليل.

تنظر إليه منى بلومٍ وغضبٍ بينما يقف بدران يشاهد ما تفعله بابتسامة بلهاء ثم تتركه، وتخرج من الغرفة، وفي اتجاهها إلى المطبخ تسمع صوت ضحكة مائعة تصدر من الصالة فتخرج لتجد سيدة مظهرها مبتذل تضحك مع والدها وهي في غير وعيها فلا تشعر منى بنفسها وتخرج مسرعة من المنزل تبكي وهي لا تعلم إلى أين تذهب فتجري في الشوارع مرتدية البيجاما وتظل تجري من شارع إلى شارع حتى يصيبها الدوار وتشعر بدوخة وغثيان وترى أضواء الشوارع والسيارات من حولها كالكشافات التي تضرب في عينيها وتصيبها بالـ «زغللة» والصداع فتضع يديها على رأسها وتقف وسط شارع ما وتسقط على الأرض.

الدكتور سيف يجلس في مكتبه بالمستشفى يبحث عن آخر تطورات علاج مرض الفصام ويطابقها مع الأبحاث القديمة التي يعمل بها ثم يتلقى اتصالًا من مستشفى أخرى بها منى فيخرج مسرعًا في اتجاه المستشفى وهو في حالة نفسية مضطربة؛ فهو لا يعلم ماذا حدث لمنى، ويخاف على كارما من أي صدمات في الوقت الحالي تؤثر سلبًا على حالتها ثم يصل إلى المستشفى ويدخل ويسأل عن منى فيجدها نائمة في غرفة ومعها دكتورة تحكي له عمَّا أصابها من كدمات نتيجة السقوط المفاجئ على الأرض وأنها تعاني من ضغط منخفض ولكنها في الوقت الحالي في حالة جيدة ومن الممكن أن تخرج من المستشفى فيذهب سيف ليدفع فاتورة المستشفى ثم يرجع للغرفة التي بها منى وينتظر بجانبها فيريد أن يطمئن عليها ويأخذها بسلام إلى منزل والدها فعند طلب كارما رؤيتها تستطيع أن تكون بجانبها ولكنها تظل نائمة فتطول مدة الانتظار فيسرح سيف في ملامحها وهي مغمضة العينين..

«أنا آسف يا منى.. عارف إنك حطيتي عليَّا آمال كتيرة وانا هدتهالك كلها.. ماقدرتش أحسك ماقدرتش أقرّب منك ماعرفتش أشوفك غير كأنك تلميذتي الصغيرة اللي لسه محتاجة تتعلم ازاي تتعايش مع الدنيا.. كنتي أصغر من إني حتى أحس إنك مسئولة مني.. ولا عرفت أكونلك الحبيب ولا الأب الحنون اللي بتدوري عليه فيَّا.. حتى وجودي جنبك هنا عشان حاجة واحدة بس.. عشان كارما»

تفتح منى عينيها وتنظر إلى سيف بغرابة فهي لا تعلم مكانها ولا تعلم كيف يجلس سيف أمامها، ولكنها لا تريد أن تعلم فتكفي لحظة مثل هذه اللحظة الخاصة التي تحلم بها منذ سنوات لتتأمل عينيه ولا شيء سوى عينيه اللتين تبحر في أعماقهما لتصل إلى كل ما هي محرومة منه من مشاعر لا توصف بالكلمات، مشاعر تُشعِرها بالأمان والراحة ولا تريد في العمر سواها، ثم يلاحظ سيف أن منى فتحت عينيها فيقترب منها ليطمئن عليها ويسألها عمَّا حدث لها فتبدأ في تذكُّر ما حدث وتبكي بشدة.

كارما تحكي قصة إلى ابنتها (دميتها) عن رجل كان في زمنٍ من الزمان يعيش مع زوجته وابنته في بيت خشبي صغير بجزيرة بعيدة تكسوها الغابات وفي يوم من الأيام والبنت تلعب في الغابة اختفت فخرج الأب ليبحث عنها فلم يجد سوى دماء على الأشجار وآثار قدم لدب على الأرض فتوقع أن يكون أكلها الدب فجن جنون الرجل وظل يبحث عن الدب لينتقم منه وترك الزوجة وحدها أيامًا وليالي تحولوا إلى شهور عديدة ثم إلى سنوات طويلة حتى وجد الرجل الدب ودخل في معركة شرسة معه وتمت إصابة الرجل إصابات خطيرة ورجع إلى منزله وهو في حالة صحية سيئة ليجد ابنته تجلس مع زوجته ورجل غريب يهتم بهما فعلم أن تهوره أصابه بالجنون والاندفاع لاقتناعه بوهمٍ؛ فهو ترك زوجته ولم يسأل عنها لسنوات، وجنون الانتقام عماه عن طرق عديدة كان من الممكن أن يسلكها واكتشف أن أحيانًا يختبر الله إيماننا وقوة تحمُّلنا وصبرنا بحوادث علينا أن نفهم المخزى من حدوثها في حياتنا؛ فالحياة قصيرة وعلى كلٍّ منا الاستمتاع بما تبقى له منها فضيع الرجل صحته في

الانتقام، وفي النهاية فقد زوجته وابنته وفقد نفسه ثم تنتهي كارما من حكي القصة وتنام وهي تحتضن ابنتها (دميتها).

يدخل الدكتور سيف باندفاع إلى منزل بدران، يدخل غرفة نومه ليجد السيدة التي حكت له منى عنها فيطردها من المنزل فيوبخه بدران ويتعجب مما يفعله سيف من تدخل في خصوصياته، ولكنه لا يستطيع أن ينفعل عليه فهو الذي يتحمل كافة مصاريف كارما ثم يأخذ سيف منى إلى والدها في الداخل ويواجهه بغضب وحزم:

- لو منى اشتكت منك في أي حاجة ولو اللي حصل ده اتكرر مرة تانية مش هتشوف وِش منى تاني ولا كارما وهتخسر بناتك وآخرتك هتموت لوحدك هنا سكران وماحدِّش هيسأل عنك.. فوق بقى واِلحق نفسك قبل ما كل حاجة حواليك تروح منك.

ينظر سيف إلى منى نظرة يطمئنها بها ويقول لها إنه تأخر على كارما ثم يخرج من المنزل فينتاب بدران

حالة مريبة فيبتسم لمنى ثم يضحك بصوت مرتفع ويدخل غرفته وهو مستمر في الضحك، ويخرج سيف من العمارة قلقًا على كارما فهو يفعل كل ذلك حتى تنتمي كارما إلى أسرة سوية تستطيع أن تساعدها في رحلة علاجها.

تجلس منى في غرفتها تنظر إلى الكتاب الذي كانت تذاكر فيه، ولكنها لا تستطيع أن تفتحه مرة أخرى فهي تشعر وكأنها في حلم ما يتحول إلى كابوس بالتدريج فالرجل الذي ظلت تحبه طوال سنوات دراستها أخذته من يده لتعرفه على أختها ليهتم بها ويتعلق بها ولا يرى فيها في النهاية سوى أختها.. والرجل الذي رباها تحول إلى شبح لا يظهر إلا بصحبة إحساس ينتابها من الرعب مما سيحدث من خطر عليها من ظهوره، فقدومه إليها يعني مأساة وضغط وفضيحة، أصبح عالة عليها وعلى كل من حوله وعلى المجتمع، فلم تعد تشعر أنه والدها وتحلم باليوم الذي ستتخلص فيه منه، وأختها الوحيدة التي كانت بمثابة الأم لها والسند والعون في كل خطوة تأخذها وكل لحظة تعيشها

فجأة اختفت هذه الأخت القوية، الذكية، العاقلة من حياتها واستبدلت بأخت ضائعة، وضعيفة، وغير سوية، فتشعر منى بالوحدة بالرغم من وجود نفس الأشخاص حولها ولكنهم لم يعودوا كما كانوا من قبل فهم نفس الشكل والجسد ولكن بأرواح وشخصيات مختلفة تمامًا عمَّا كانوا عليه.

* * *

التفكر

في صباح اليوم التالي تستيقظ كارما لتجد الدكتور سيف بجانبها مستغرقًا في النوم على الكرسي ويحمل الدمية في يده فتنظر له بتأمل وتشعر بالأمان والراحة اللذين لم تشعر بهما منذ فترة طويلة ثم تقف وتذهب بقربه وتحمل ابنتها (دميتها) من بين يديه فيفتح عينيه وعند رؤيته وجهها يزدهر ويبدو كالملاك فيبتسم إليها ابتسامة تسعد بها وتكتفي بما تحمله الابتسامة من مشاعر ممزوجة بالحب والتفاؤل والبهجة، ثم تذهب كارما مع الدكتور سيف وابنتها (دميتها) إلى الحديقة الخاصة بالمستشفى، فتبدو حالتها النفسية أفضل لدرجة أنها تجري في الحديقة والدمية في أحضانها ويتبعها سيف وهو في أسعد حالاته؛ ففي هذه المرحلة يبدو وأن الدكتور سيف نفسه سئم من علاج كارما واستسلم لوجود الدمية في حياته وبدأ يتأقلم مع المرض ويستقبله استقبالًا مختلفًا فهو يرحِّب به ويتعايش معه ويفرح لأفراح كارما ولا يبالي بما تعلمه في الكلية عن هذا المرض

وعن تفاصيله وطرق علاجه ويختار أن ينسى كل ذلك ويعيش مع كارما في حياتها التي تحددها من خيالها، وفي لحظة صادقة وهما في الحديقة تحكي كارما لسيف عن أحلامها لابنتها، وعن المدرسة التي تريد أن تلحقها بها وعن فرحتها بها يومًا بعد يوم ثم تنظر إليه وبجدية وامتنان:

- إنت خلتني أتعلم حاجة مهمة أوي في الدنيا؛ إن الاهتمام اللي بيتطلب بيقتل الحب بالتدريج، إنما الاهتمام العفوي بيخلق المشاعر الحلوة ويقوي العلاقات الإنسانية وانت اهتمامك بيّا وبكل حاجة ليها علاقة بيا قواني وخلاني حاسة إن الدنيا كلها ملك إيديا.

يصارح سيف كارما بحبه ثم يخرج من جيبه خاتمًا «سوليتير» ويعرض عليها الخطوبة مما يسعد قلبها لأنها تعلم أن سيف يحبها حبًّا كبيرًا ولن يتخلى عنها أو عن ابنتها (دميتها)، فتقبل أن تُخطَب له مما يفرحه كثيرًا فيلبسها الخاتم وهو في قمة سعادته ثم يستكملان حديثهما في حديقة المستشفى التي بالرغم

من رتابتها وجو المرضى والأدوية الذي يتناثر بها وسور المستشفى المقبض الذي يحاوطها تبدو أجمل حديقة من وجهة نظرهما فلا يشاهدان بها إلا ألوان الورود ونقاء الخضار ويشعران فيها بحبٍّ جديدٍ ينشأ بين أشجارها وينمو كما تنمو الورود بها؛ فلا تشعر كارما إلا أن حياتها اكتملت بوجود اهتمام سيف بها وأنها اطمأنت على مستقبل ابنتها (دميتها) معه وحتى سيف أصبح هو الآخر يعيش معها في دنيتها، ولا يريد أن يخرج منها، فهو يخاف أن يفقد ما يشعر به من حب مع كارما وما تشعر هي به من أمان معه داخل المستشفى إذا خرجت مرة أخرى أو إذا شفيت، وفي لحظة يقترب فيها سيف من كارما تشعر كارما بطاقة مختلفة من حولها فتنظر أمامها لتجد منى تقف تنظر إليهما بتأثر وتعجب وحزن وتنفعل على الدكتور سيف:

- هو ده العلاج اللي بتعالجه لأختي؟! يعني بدل ما آجي ألاقيها بتاخد أدويتها أو بتاكل الأكل الصحي اللي ياما إدِتني فيه محاضرات لما كنت بنسى أحضرهلها في البيت طيب بلاش الأكل.. ألاقيها حتى بتحضر أي

جلسة من جلسات العلاج السلوكي.. آجي ألاقيك بتحب فيها في الجنينة!

- إنتي اتجننتي يا مني؟! سيف يبقى خطيبي دلوقتي ولسه عارض عليَّا الجواز وانا قبلت.

- قبلتي ازاي؟! هو انتي فاكرة عشان بيصرف على علاجك هنا يبقى خلاص اشتراكي؟! إيه مالكيش أهل ترجعيلهم.. ليه بترخَّصي نفسك للدرجة دي؟!

تجلس كارما وتأخذ ابنتها (دميتها) في حضنها فتنتابها الرعشة فتحتضن الدمية بشدة.

- يا دكتور البنت عايزة تاكل ممكن أخش أوضتي عشان أحضرلها الرضعة بتاعتها؟

ينظر سيف إلى منى بغضب ويقترب منها وبصوت خافت:

- مافيش فيكي فايدة.. هتفضلي طول عمرك كده أنانية ومش قادرة تتحملي مسئولية.

ثم يأخذ سيف كارما إلى الداخل برفق ويتركان منى التي تجلس مكانهما وتنفجر في البكاء فهي لا تعلم كيف فعلت ذلك بأختها أقرب شخص إليها، فهي رأت الفرحة على عين كارما عند رؤيتها وهذه كانت أول مرة تترك كارما الدمية بعيدًا عنها وهي تجلس تتحدث مع أي شخص؛ فيبدو أن كارما كانت حالاتها بالفعل تحسنت، وأن منى فَضَّلَت إحساسها بالغيرة على إحساسها بحب شقيقتها وفي النهاية خسرت كل شيء وظلت وحيدة ففقدت هذه النظرة الحنونة من كارما لها، كما أنها فقدت احترام الدكتور سيف لها.

يدخل الدكتور سيف مع كارما غرفتها وتبدو أن حالاتها سيئة فهي تحتضن الدمية بقوة ووجهها يملؤه العرق والرعشة تتملك منها فيعطيها سيف الدواء وتنظر إليه كارما بضعف شديد فهي تحتاجه بجانبها ولكنها لا تستطيع أن تتكلم فيبدو وأنها اصيبت بما يعرف في الطب النفسي بال Panic Attack ونبضات قلبها بدأت تدق بسرعة وعيناها تزيدان في الاحمرار فأخرج سيف جهاز قياس الضغط وبعد قياسه وجده

مرتفعًا فطلب الممرضة لتجلب له دواءً يعدل الضغط وظل ينظر إلى كارما وهي ترتعش في السرير وأطرافها تنتفض وبدأ في الدعاء إلى الله ليشفيها مما تعاني منه حتى نامت بعد ساعاتين معاناة من نوبة الفزع التي أصابتها، وظل سيف بجانبها طوال فترة الليل قلقًا عليها لا يستطيع أن يغفل لحظة حتى أشرقت الشمس وفتحت كارما عينيها فالدواء الذي تتعاطاه من آثاره الجانبية قلة عدد ساعات النوم فتستيقظ وتأخذ ابنتها (دميتها) وتطلب منه أن تخرج إلى الحديقة؛ فهي تريد أن تسترجع ماكانت عليه في الحديقة الليلة الماضية قبل أن تظهر منى وتفقدها المشاعر الإيجابية التي كانت تشعر بها فهي تريد أن تذهب باحثة عنها مرة أخرى فيخرج سيف معها، وعند خروجهما من الغرفة تجد ممرضة تحمل جرائد عديدة فتلاحظ صورة على غلاف جريدة لزوجها السابق رجل الأعمال فهد الصاوي فتأخذ الجريدة من يد الممرضة وتنظر إلى الخبر «فهد الصاوي يستحوذ على شبكة الاتصالات الرابعة للمحمول بلبنان» ثم تنظر إلى الصورة التي تجمعه بسيدة وثلاثة أبناء وتحت الخبر

«فهد الصاوي وزوجته اللبنانية وأبناؤه» ومن بين الأبناء طفلة في مثل عمر ابنتها المتوفاة، فتنظر كارما بتمعن إلى صورة الطفلة ثم تنظر إلى سيف بحيرة ويظهر عليها نظرات مريبة لم يشاهدها سيف من قبل.

كيف ستخرج كارما من الدنيا التي تعيش فيها منذ سنوات طويلة، فكيف ستستغني عن كل ما تعودت عليه وتعايشت معه في لحظة، فهي تصارع نفسها وتتمسك بالفرصة التي وجدتها لتحاول أن تصل إلى حلمها فتخطو أول خطوة لها في مواجهة الواقع، تفكر كيف ستستعد لتترك الحياة التي صنعتها لنفسها لتهرب داخلها من الفاجعة التي لم تتحمل أن تقبل بحدوثها فتنجح كارما أن ترجع مرة أخرى إلى الحياة التي كانت تعيشها من قبل لتستكمل مسيرتها فيها، وذلك بفضل صورة فهد والطفلة التي جعلتها تفكر في أن الأمل موجود وتقتنع لأول مرة منذ سنوات عديدة بأن هذه الحياة التي تعيشها كانت غلطة عطلتها عن إيجاد ابنتها طوال هذه المدة.

* * *

استحضار النية

تدخل كارما مسرعة إلى غرفتها بالمستشفى ويتبعها سيف وهو قلق عليها، فتجلس على سريرها ويتحول وجهها البريء إلى وجه تظهر عليه ملامح جديدة من الحدة التي لم تكن موجودة بها من قبل، فيخاف عليها سيف وهو يمسك بدميتها فيقترب منها ويضعها على كارما عسى أن يرى الوجه البريء الذي يعرفه ولكنها تمسك بالدمية بطريقة مختلفة هذه المرة وتنظر إليها بضيق مما يثير تعجب سيف، ولم يمر سوى بضع ساعات على كارما وهي في نفس الحالة تحاول التخلص من دميتها ولا تريدها معها كما اعتادت من قبل فيقترب منها سيف ويحاول أن يهدئ من انفعالاتها على الدمية فترد عليه كارما بعصبية وهي تمسك بالجريدة وتنظر إليها بتأمل: (بنتي).

فيأخذ سيف الجريدة وينظر إلى الصورة بدقة هو الآخر، فتمسك كارما الجريدة بيدها وتبكي ولكن هذه

المرة تبكي بدموع الفرح وهي تنظر إلى صورة الطفلة وتتحسسها بيدها

- كبرتي يا حبيبتي..

وتنهمر دموعها وتتساقط على الجريدة حتى يسيح حبر الطباعة الأسود ويبهت على يدها ثم تنظر إلى سيف وهي تبكي بحرقة:

- خد بنتي منى اللي معندوش قلب ولا إحساس.

فيحاول سيف أن يهدئها فتمسح دموعها وتنظر إلى سيف وتتحدث معه بهدوء وجدية:

- عمري ما كنت أتخيل إن في أب ممكن يحرم أم من بنتها عشان مصالحه.. لما اتجوزت فهد كان لسه بيحاول يوصل بأي طريقة.. أبوه مصري وأمه لبنانية وكانت وصولية لأقصى درجة وهي اللي عرَّفته على الراجل اللي اسمه مكتوب في الخبر ده (شربل حداد) هو اللي ساعده في الأول وبدأ يسافر كتير لبنان واتوسع في شغله، وفي أقل من سنة بقى رجل

الأعمال المصري-اللبناني المشهور فهد الصاوي وصورة مراته مكتوب عليها (هلا شربل حداد) يعني اتجوز بنت الراجل اللي مصلحته معاه وخد بنته تعيش مع اللي مصلحته معاه وأنا سابني هنا لوحدي أتقطع سنين وانا محرومة منها.

ينظر إليها سيف متأثرًا لما تعاني منه ثم يبتسم إليها ابتسامة طمأنينة ويعاهدها بأنه سيقف بجانبها في رحلة اكتشاف ما يجري حول زوجها السابق فهد الصاوي، وأنه لن يتركها أبدًا، ولن يترك حقها في رجوع ابنتها إليها؛ فتنظر إليه بامتنان ولكنها الآن لا تستطيع أن تنتظر لحظة واحدة في المستشفى؛ فبعد رؤيتها لهذه الصورة تحولت وكأنها شخص آخر، شخص متفائل ومقدام ولم تعد تنظر إلى دميتها؛ فهل شُفيَت كارما في لحظة واحدة؟! هل انتهى مرضها وعادت كما كانت من قبل ولم تعد تحتاج إلى الدواء؟! هل ستبدأ حياتها كشخصية سوية وتبحث عن عمل تتقنه وتمارس نشاطها كأي شخص سوي؟! هل ستتزوج من الدكتور سيف أم سترجع إلى منزل والدها لتراعيه

وتراعي أختها التي تفتقدها بشدة؟! فماذا ستفعل كارما مع هذه النقلة الجديدة في حياتها؟!

يتابع الدكتور سيف جميع إجراءات خروج كارما من المستشفى وهو في قمة حماسه لشفائها الذي بالرغم من سرعة حدوثه وعدم استناده على حقائق علمية طبية فهو بمثابة طوق نجاة له ولكارما ليعيشا بدون خوف من سيطرة المرض عليها وأعراضه المرهقة والأعراض الجانبية للأدوية النفسية وما يمكن أن تسبب من اكتئاب في النهاية، فيستكمل إجراءات الخروج ويدفع جميع مستحقات المستشفى، أما كارما فتحضر أمتعتها وتضع جميع ملابسها في حقيبتها ثم تنظر إلى الدمية وتبتسم لها ثم تضعها في الحقيبة وتغلقها ثم تجلس على السرير مستعدة إلى الرحيل فتنظر إلى السماء من خلال نافذة الغرفة وتدعو الله:

«يارب.. رزقتني بإبنتي من غير حول منّي ولا قوة والقدرة منك وحدك فهَب لي القدرة على البحث عنها وعلى إيجادها، والرزق من عندك وحدك فارزقني بالرزق الحلال لتلبية احتياجتها ولا تحوجني لأحد من

خلقك فأنت الواحد الأحد المسيطر على هذه الدنيا فلا تتركني أضعفُ من الإيمان بقدرتك العظيمة في العثور على ابنتي..»

يدخل الدكتور سيف عليها وينظر إليها والحيوية تملأ وجهها فهو لم يرَها هكذا من قبل، لم يرَها تبتسم بصدق من قبل؛ فهي لم تعد هزيلة بائسة مرهقة وأصبحت بوجه جديد هادئ مبتسم مطمئن ومقبل على الحياة، ولكن البراءة اختفت من وجهها، فيأخذها ويخرجان من المستشفى ويحاول سيف أن يقنعها بأن يتزوجها وتعيش معه في فيلته بالتجمع الخامس ولكنها تطلب منه تأجيل هذه الخطوة حتى تعثر على ابنتها فهي ستسافر إلى لبنان لتبحث عن طفلتها وتسترجعها معها لتعيش معهما في فيلته بعد الزواج، فيتقبل سيف رأيها فراحتها الأهم عنده فهو يعلم أن المريض النفسي بعد شفائه يحتاج لفترة ليرتب فيها نفسه ويحدد أولوياته ليرجع كما كان قبل المرض، ولكنه يسأل نفسه: ماذا لو لم تكن هذه الطفلة ابنة كارما؟! ماذا لو لم تكن هذه الحقيقة ماذا لو كان فهد

تزوج من زوجته اللبنانية على كارما وأنجب منها هي هذه الطفلة؟! وكيف ستكون الصدمة على كارما وتأثيرها على مرضها هذه المرة؟!

ترجع كارما منزل والدها الذي يتوتر عندما يفتح الباب ويجدها أمامه فيبدو كشخص غريب عنها، يبدو غير واضح المعالم وكأن عليه غبار والتجاعيد تملأ وجهه فيبدو أن آثار شُرب الخمر ليلًا نهارًا والسهر وغيره من العادات السيئة ظهرت عليه، فتنظر كارما إليه وكأنها لا تراه فهي لا تتأثر لحاله فهي في عالم آخر لا تفكر سوى بأحداثه، فتدخل إلى الصالة وبرفقتها الدكتور سيف الذي ينظر إلى بدران باشمئزاز ولكنه يحاول أن يداري ضيقه حتى لا يتسبب بقلق لكارما التي يحتار في حالتها كطبيب يعلم جيدًا أن مريض الفصام لا يزول مرضه في لحظة، ولا يجب أن يتوقف دواؤه في يوم وليلة، وأن ما يحدث لكارما لم يمر عليه من قبل، ولكنه كإنسان وليس كطبيب، سعيدٌ بما يحدث؛ فهو لا يريد إلا أن يعيش معها أكبر كم من اللحظات السعيدة في الحياة، فتدخل كارما إلى غرفتها ولكنها لم تجد

منى فتسأله عن منى فيحكي لها أن منى اختفت منذ ليلة أمس وأنه لا يعلم عنها شيئًا فهي أيضًا لا تكترث لما قاله عن منى مما يثير تعجب بدران الذي يعلم جيدًا مدى حب واهتمام كارما بمنى، فتطلب كارما من سيف أن يساعدها في السفر اليوم التالي ووعدها بأنه سيوفر لها التذاكر والإقامة فتشكره بشدة ثم يتركها ولكنه قبل أن يخرج من المنزل يوصي بدران بألا يفعل أي شيء يرهقها أو يغضبها في هذه الليلة فيبتسم له بدران ابتسامة صفراء ثم يتركه سيف ويختفي.

تستعد كارما إلى النوم، وبالفعل هذه هي أول ليلة لها تستطيع أن تستغرق في النوم فيها بهذه السرعة وبدون أن تحتضن دميتها، ويبدو عليها السلام والهدوء والراحة، ولكن لم تدُم الراحة إلا لساعات قليلة ليدخل عليها والدها وهو في حالة سكر جنونية يوقظها ويطلب منها أن تحضر له عشاءً فتنظر إلى الساعة لتجدها الثالثة بعد منتصف الليل فتجري مرعوبة إلى المطبخ لتحضر العشاء ولكنها لا تجد أي طعام في الثلاجة فتلتفت لتجد بدران يقف ينظر إليها

بعين مرعبة وكأنه سيلتهمها فتتلعثم في الحديث فيلومها بشدة على تأخير العشاء ويعطي لها إنذارًا أخيرا بأنها إن أخَّرت العشاء سيكون عقابها عسيرًا ثم يخرج إلى الصالة فتراقبه كارما لتجده يستكمل شربه للخمر ويتعاطي أشياءً أخرى تبدو لها كموادا مخدرة فتدخل مسرعة إلى غرفتها لتأخذ أغراضها وتأخذ حقيبتها التي وصلت بها من المستشفى كما هي وتخرج من المنزل بهدوء دون أن يشعر والدها بها.

تخرج كارما إلى الشارع تجري مسرعة وأذان الفجر يؤذن فتدخل إلى الجامع لتصلي صلاة الفجر والدموع تملأ عينيها مما فعله بها والدها ومن حاله الذي وصل له ثم تغفل وتنام حتى يؤذَّن لصلاة الظهر فتفتح عينيها لتجد حقيبتها كما هي بجانبها فتأخذ الموبايل الخاص بها من جيبها وتتصل بالدكتور سيف الذي كان يبحث عنها منذ الصباح الباكر فيصل إليها عند الجامع فهو كان يقف تحت منزل والدها لا يعلم ماذا يفعل حتى رآها فظل يعتذر لها على تركها مع هذا الرجل الذي فقد إنسانيته نهائيًا وأصبح عبدًا ذليلًا للكأس.

تستعجل كارما إجراءات السفر فيفاجئها سيف بأنه حضر لها جميع الإجراءات وأنها من الممكن أن تسافر أي وقت تشاء فتنظر إليه فيفهمها من نظرتها فتركب السيارة مسرعة ويركب هو الآخر مسرعًا وينطلق بسيارته وتشعر كارما بسعادة بالغة بأنها ستخطو أول خطوة في طريق استعادة ابنتها وينظر إليها سيف وهو يشعر بالرضا والفرحة والارتياح النفسي لسعادتها حتى يصلا إلى مطار القاهرة الجوي فيخرجان سويًا من السيارة ويبلغها سيف بأنه سيركن سيارته في الجراج فيطلب منها أن تنتظره بالحقائب، ويخبرها بأنه دقائق وسيرجع إليها ليسافر معها فتنظر إليه متعجبة مما يفعل فيتعجب هو الآخر من تعجبها.

- إنتي مش عايزاني أسافر معاكي؟!

- أنا مش مسافرة زي كل الناس ما بتسافر تتفسح أو تستجم أو تشتغل.. أنا مسافرة أدور على نفسي وما أعتقدش إنك هتحب تشاركني رحلتي وأنا بلاقي فيها نفسي لأني ببساطة مش متأكدة إذا كنت هفضل كارما اللي إنت حبّتها ولّا هبقى واحدة جديدة يمكن أحسن

بس ماتناسبكش ويمكن أوحش وماتقدرش تستحملها وساعتها كارما اللي جوايا اللي بتحبك هتزعل منّي أوي ومش عارفة ممكن يحصل إيه بس أكيد اللي هيحصل هيبقى زلزال هيكسر كل حاجة بنيناها ووصلنالها.

ينظر إليها سيف متأثرًا بكلامها ثم يعطيها تذاكر الطيران وحجز الفندق لمدة أسبوعين ويعطيها عنوان فيلا وشركة فهد في لبنان ويحدثها بجدية:

- أنا هسيبك تروحي لوحدك عشان أهم حاجة عندي هي راحتك بس لو احتجتيني جنبك أرجوكي كلميني هجيلك وصدقيني مش هتندمي عمرك.

ثم يتركها وهو قلقٌ عليها ولكنه يريدها أن تخوض التجربة بنفسها عل وعسى أن يريحها ذلك ويجعل منها شخصية قوية تأخذ قراراتها بنفسها وتتحمل عواقبها، ولكنه من داخله كطبيب نفسي يعلم أيضًا أن تركها وحدها غير صحي لها؛ فهي تحتاج لشخص أن يكون بجانبها إن انتكست أو رجعت لها أعراض المرض

فهو محتار بين استعجاله لحل مشكلة كارما ليستطيع أن يتزوجها ويعيش معها في سعادة، وبين أن يأخذ وقته في علاجها دون أن يعرِّضها لأي صدمات من الممكن أن ترجع بها لنقطة البداية ويمكن أخطر بكثير من البداية، فإن وجدت كارما ابنتها واستطاعت أن ترجع بها من المؤكد أنها ستُشفى أما إن لم تجد ابنتها فهو لا يريد أن يفكر فيما يمكن أن يحدث نتيجة ذلك.

* * *

التمسك بالأمل

كارما في الطائرة تنظر إلى الجريدة مرة أخرى وتنظر بتأمل إلى صورة الطفلة التي بالصورة ثم تنظر إلى طفلة تجلس بجانبها مع والدتها ووالدها تبتسم لها فتبتسم لها هي الأخرى وتسألها عن اسمها وتلعب معها وتظل تحكي لها عن ابنتها التي ستذهب لتقابلها بعد فترة غياب، وعندما يصل الطعام في الطائرة تتابع كارما اهتمام والد ووالدة الطفلة بها وتسأل نفسها:

«هل أنا على وشك العودة إلى الحياة؟ هل أنا بالقرب من النجاة من الضياع المكتوب عليَّ؟ هل سأفتح عيني الغد لأجدها بحضني؟ هل سينتهي الكابوس بحُلم جميل وسيتحول الواقع المرير إلى الحقيقة المطلقة التي أبحث عنها؟ وإن لم يتحول هذا الواقع هل سينتقم لي الزمان؟ هل سأعلم لماذا أنا؟! لماذا أنا يُفعَل بي ما يفعله الزمان؟! هل قانون الكارما سيمتثل لي؟ وهل عليَّ أن أنتظر تفعيل القانون؟»

عند خروج كارما من المطار تشعر بشعور مختلف، تشعر بالحر في عز البرد، فينتابها ضيق تنفس من الجو وتشاهد أضواء السيارات والشوارع فتصيبها بالدوار والزغللة وتمسك رأسها فتشعر بصداع شديد وقبل أن تفقد السيطرة على نفسها تشاهد الطفلة التي كانت تتحدث إليها في الطائرة تخرج من المطار مع والديها فتجري إليها الطفلة وتعطيها قُبلة ثم تجري لتلتحق بأهلها وتختفي معهم، فقبل أن ترجع كارما عن قرارها دون أن تقرر وقبل أن يفقد جسدها السيطرة على نفسه دون أن تشعر تنجح هذه الطفلة بأن تسترجع إليها الأمل الذي يحركها، الأمل الذي يمكن أن يعطيها القوة لتهد جبالًا لتصل له ويعمي عينيها عن أي حقيقة تراها أمامها ويصم أذنيها عن أي كلام تسمعه من الممكن أن يغيّر رأيها، فترجع كارما لتشعر بالبرد وتتنفس نسيم الهواء النقي وتنظر إلى جمال جبال لبنان الشهيرة وتتأملها وتشعر براحة وحماس، وتذهب إلى تاكسي فتركب، وبدلًا من أن تعطيه المعلومات عن الفندق الذي حجز لها سيف فيه، تعطيه ورقة مكتوب عليها عنوان فيلا فهد الصاوي، فيتعجب السائق من

معرفتها بفهد رجل الأعمال المعروف بلبنان، ثم ينطلق بها فتشعر كارما أنها تأخذ أهم خطوة في طريق نجاتها.

يصل التاكسي أمام الفيلا فتجد كارما حفلًا كبيرًا داخل الفيلا وسيارات فخمة تقف خارج الفيلا تنتظر دورها، فيتعجب السائق من ميعاد الحفل؛ فالوقت لا يزال مبكرًا فالساعة الثالثة عصرًا، فتطلب كارما من التاكسي أن ينتظرها وتخرج من السيارة لتقترب من سور الفيلا الحديد فتنظر من خلاله من بين أوراق الاشجار لترى السيدة التي رأتها في الصورة تلعب مع عدد من الأطفال في الحديقة وتشاهد فهد يجلس مع بعض الرجال ثم ينادي عليها سائق التاكسي ليرحلا، فتستعد إلى الذهاب إلى التاكسي ولكنها تلاحظ وجود بنت جميلة ترتدي فستانًا زهريًّا وتاجًا لامعًا تقف خارج الفيلا ترحب بالحضور من صديقاتها فتقترب منها ثم تقف على بُعد تتأملها وهي تبكي بكاءً لا يتوقف فتسقط دموعها كالشلال، فينادي عليها السائق ولكنها تستمر في البكاء خلف الأشجار، لا تريد أن

تلاحظها الطفلة فهي لا تريد أن تشغلها في هذا اليوم الذي تبدو سعيدة فيه، فتتجه كارما إلى التاكسي تاركة المكان وتعطيه عنوان الفندق الذي حجز لها سيف فيه ليتجه إليه.

يرن موبايل كارما فيتصل بها سيف ليطمئن عليها فتبشره برؤيتها لابنتها وأنها ستبدأ في أول خطواتها غدًا وتطلب منه أن يدعو لها فيغلق سيف الخط وهو يدعو لها من كل قلبه بأن تصل لابنتها بسهولة وتتحسن صحتها وترجع له سالمة، يستمع السائق لكلام كارما الذي دار مع سيف ويتعجب من كون ابنة فهد الصاوي وزوجته الشهيرة هلا حداد هي ابنة هذه السيدة وظل يحدثها عن فساد رجال الأعمال والمعاناة التي يعيشها الغلابة والظلم الذي يتعرضون له ويحكي لها عن المشاكل السياسية والاقتصادية في البلد ولكنها لا تستمع له فمشاكلها أكبر والظلم الواقع عليها أشد.. ثم يصل بها إلى الفندق.

فبالرغم من التعب الذي تشعر به فلم يغلق لكارما جفن طوال الليل، فظلت تنتظر النهار لتخرج مسرعة تبحث

عن الخيط الذي سيوصلها لابنتها دون صعوبات، ففكرت في الذهاب إلى هلا لتحكي لها القصة بأكملها ولكنها تعلم بأنه يصعب على أي أم التخلي عن ابنتها التي ربتها وعاشت معها سنوات طويلة لأي سبب؛ فلماذا ستصدقها، ولماذا ستعطيها ابنتها التي ربتها طيلة خمس سنوات؟! فعليها أن تأتي بدليل قاطع بأنها أم الطفلة قبل أن تواجه هلا، فتذهب إلى الفيلا وتبحث عن أقرب مستشفى لها وتبحث عن المكان الذي ولدت فيه الطفلة فتدلها ممرضة على مستشفى أخرى يذهب إليها جميع أثرياء البلد فتذهب إليها وهي لا تحمل معها إلا صورة لها مع ابنتها وهي طفلة رضيعة وتنجح في مقابلة ممرضة كانت تمرض هلا أثناء آخر ولادة لها التي ولدت فيها أخت ابنة كارما، وتعطي لها عنوان زميلة لها حضرت ولادة الطفلة الأولى التي تبحث كارما عن الأوراق الخاصة بها فتذهب إليها المنزل وتحكي لها عن قصتها وتساعدها الممرضة بجلب الدوسيه الذي به جميع الأوراق الخاصة بهلا وبالطفلة، وتتذكر الممرضة بأن هلا ذهبت منذ سنتين بالطفلة لتفحصها فكان مطلوب لها تحاليل

للاشتباه بمرضها بالقلب فأخذت كارما جميع المعلومات والأوراق وسهرت تقارنهم ببعض فوجدت أن الطفلة المولودة منذ خمس سنوات نوع دمها A والطفلة التي تم فحصها منذ سنتين نوع دمها O، وهو نفس فصيلة دم ابنتها التي تفتقدها..

* * *

التخبُّط

في صباح اليوم التالي باكرًا أخذت كارما الدوسيه وخرجت لتوقف تاكسي متجهة إلى فيلا فهد وهلا، وظلت تنتظر في الخارج حتى خرج فهد من الفيلا وخرج الطفلان ليركبا أتوبيس المدرسة، فاتجهت كارما إلى باب الفيلا لتطلب من الحرس دخولها فرفضوا دخولها دون ميعاد سابق فظلت تترجى فيهم حتى خرجت هلا بسياراتها من البوابة ولمحت كارما فرجعت بالسيارة إلى الخلف وفتحت شباك السيارة وهي متعجبة من حالة كارما فسألتها عن سبب وقوفها أمام الفيلا فقالت لها كارما أن الموضوع متعلق بابنتها، فقلقت وأدخلتها السيارة التي توجد بها طفلة رضيعة في الخلف واهتمت هلا بأن تتعرف منها على الموضوع.

- حضرتك أنا مش عارفة أقولك إيه! وأقولهالك ازاي! وعارفة أن الكلام اللي هقولهولك هيبقى صعب عليكي وعلي أي حد ممكن يسمعه بس الحقيقة إن بنتك..

تنظر كارما على الاسم المكتوب على الدوسيه:

- دارين.. مش بنتك.

تنظر إليها هلا وتبتسم وهي مستهزئة بالكلام الذي تسمعه ثم تستمر كارما في الحديث مؤكدة ما تقوله:

- والله يا مدام صدقيني.. فهد كان متجوزني في نفس الوقت اللي اتجوزك فيه..

وتعطيها صورة من قسيمة الزواج:

- وبعد ما خلفت بنتي بست شهور صحيت في يوم مالقيتهاش.. فهد خدها معاه في العربية عشان يسيبني نايمة شوية ليلتها مانمتش طول الليل منها ورجع من غيرها.. عمل حادثة وراحت فيها البنت وأنا بعدها تعبت ودخلت مصحة نفسية أتعالج لحد ما شفت صورتكم مع بعض وشفت البنت الحلوة دي معاكم في الصورة.. شكيت وجيت أتأكد من شكوكي وطلع اللي كنت حاساه كله صح وإنها بنتي أنا..

وتفتح كارما الدوسيه وتعطيها صورة من الأوراق التي تثبت صحة كلامها.

- أنا عارفة إنك مالكيش ذنب في حاجة، وإنك ضحية فهد زيي أنا وبنتي بالظبط بس مايرضيكيش اعيش محرومة من بنتي وهي تعيش محرومة من أمها.. أرجوكي.

تنهار هلا وتصرخ في كارما وتخرجها من السيارة متهماها بالجنون وترمي الأوراق في وجهها خارج السيارة وتنطلق هلا بسيارتها تاركة كارما تقف وحدها في الشارع والدموع في عينيها تلملم الأوراق من الأرض وهي تبكي بحرقة على حالها.

تذهب هلا إلى المستشفى وتطلب دوسيه ابنتها فتأتي لها السكرتيرة بالدوسية فتراجع الأوراق لتجد أن كلام كارما صحيح فتخرج مسرعة إلى الفيلا وهي غير مصدقة ما يحدث لها فتنظر إلى صور تجمعها بزوجها وأولادها ويبدون سعداء في جميع الصور حتى يدخل فهد إلى الفيلا وهو متوتر؛ فلقد أرسلت هلا له رسالة

ليأتي مسرعًا فتسأله إن كان تزوج امرأة غيرها من قبل؟ فيتغير لون وجهه ويحاول الإنكار في البداية ولكنها تعطيه صورة قسيمة الزواج فلا يستطيع الإنكار

- أيوه كنت متجوز بس دي قصة راحت لحالها من زمان.

الدموع تملأ عينيْ هلا وهي تنظر إليه باحتقار وهو يبرر فعلته بأنه كان متزوجًا من كارما ولكن بعد معرفته بهلا أحبها ولم يستطع أن يترك كارما وقتها لأنه أنجب منها طفلة ولم يستطع أن يبوح بالحقيقة لهلا حتى لا تتركه فتنظر إليه هلا في عينيه نظرة مريبة.

- ودارين؟!

يتعجب فهد من سؤالها وينظر إليها باندهاش ثم يستجمع ما تقصده فينكر ذلك بشدة ويشرح لها الموضوع وهو أن طفلته من كارما توفت وفاة إلهية دون سبب مرضي، وأن كارما لم تستطع تحمل الخبر

وأصيبت بمرض نفسي وهو لم يستطع أن يتعايش مع مرضها كما أنه أراد أن يكمل حياته مع هلا فطلق كارما فيقترب منها وبثقة:

- دارين بنتك انتي يا هلا.. صدقيني..

فتعطي له الاوراق التي حصلت عليها من المستشفى التي تثبت أن دارين ليست ابنتها فينظر إليها غير مصدق:

- مستحيل..

تترك هلا فهد فتصعد إلى غرفة نومها وهي في حالة نفسية مضطربة وتبكي بحرقة، فهي لا تعلم أين ذهبت ابنتها الأصلية ولا تصدق أن دارين من الممكن أن تكون ابنة سيدة أخرى، ويخرج فهد من الفيلا وهو في حالة غضب وعدم اتزان.

هلا تتصل بوالدها رجل الأعمال اللبناني الشهير شربل حداد، وتحكي له عمَّا اكتشفته من خيانة فهد لها في

الماضي وما نتج عن ذلك، مما يثير غضب شربل ويوعدها بأنه سيرجع لها حقها.

كارما تجلس في غرفتها بالفندق وتكتب رسالة إلى الدكتور سيف:

«لقيت بنتي يا سيف.. شفتها.. بقت حلوة أوي.. شبهي بالظبط.. وخلاص قربت أوصلها.. نفسي تشوفها.. هجيبها وأرجعلك نبدأ صفحة جديدة أنا وانت وهي»

يقرأ سيف الرسالة وهو غير مصدقٍ الفرحة التي يشعر بها ويبدأ في الحلم بكارما وابنتها وهما في أحضانه ويرد على كارما:

- مستنيكوا انتوا الاتنين وزي ما وعدتك هعوضك عن كل حاجة صعبة عِشتيها.

تقرأ كارما الرسالة وهي في غاية السعادة، ثم يدخل عليها فهد ومعه رجلان قويّي البنية يقفان خارج الغرفة فتتفاجأ كارما بدخوله بهذه الطريقة:

- إنت إزاي تدخل عليَّا كده؟!

- إنتي فاكرة إنك هتيجي لحد هنا وتضيعي كل اللي أنا بنيته وهسيبك؟!

- أنا مش عايزة غير بنتي..

- دارين مش بنتك يا كارما واحسنلك تبعدي عن هنا خالص.

تنظر إليه كارما غير مصدقة الجبروت الذي تملك منه ثم تقف أمامه وتتحداه:

- أنا مش هرجع مصر من غير بنتي يا فهد..

يخرج فهد من الغرفة وهو في حالة غضب شديدة ويتبعه الحرس الخاص به.

تصل دارين وأخوها من المدرسة فتقف هلا لتستلمهما من أتوبيس المدرسة فيحتضناها فتحتضن هلا دارين

بشدة وتنظر إليها وتتأملها بدقة مما يثير تعجب دارين وتحاول هلا أن تمسك الدموع في عينيها.

تخرج كارما من الفندق متجهة إلى فيلا فهد وعند وصولها تجد العديد من الحراس يقفون يحمون الفيلا فتترجاهم أن تدخل ولكنهم لا يعيرونها أي اهتمام حتى تراها هلا من الشباك وتتصل بالحراس ليدخلوها فتدخل كارما الفيلا لتقابل هلا في الريسبشن فتشعر كارما بأنها اقتربت من تحقيق حلمها والوصول إلى مرادها فترحب هلا بها وتعتذر لها عمَّا بدر منها في المرة السابقة وتشرح هلا لها أنها تعلم مدى صعوبة الموقف بالنسبة لها، وأنها تشعر بما عانته كارما مما يفرح قلب كارما كثيرًا فتقف كارما تستعد إلى أن تأخذ ابنتها في أحضانها ولكنها تفاجأ بهلا تعرض عليها «شيكًا» بمبلغٍ كبيرٍ من المال مقابل التنازل عن البنت لهلا فتشعر كارما وكأن الكون ينهار من حولها وتنظر إلى هلا غير مصدقة ما يحدث حتى تنزل دارين من السلالم فتشاهدها كارما وتنظر إليها نظرة تحمل العديد من المعاني التي لا يستطيع أحد أن يفهمها فهي

خليط من مشاعر أمومة وشوق وحنان وسعادة وخوف وقلق والأهم مشاعر الاحتياج التي تشعر بها كارما ولا تستطيع أن تسيطر عليها، أما البنت فتقترب منها وترحب بها ثم تذكِّر والدتها بموعد الدواء مما يثير قلق كارما فتنزعج هلا من الموقف وتصرخ في دارين لتصعد إلى غرفتها فتجري البنت وهي تنتفض فتقف كارما مستنكرة ما تفعله هلا وتمزق الشيك وتحدث هلا بلهجة تحدٍّ وثقة بأنها ستأخذ ابنتها منها ثم تخرج من الفيلا وهي لا تعلم ماذا ستفعل وأين ستذهب ولكن لديها شعورًا مؤكدًا بأنها ستحصل على ابنتها بالرغم من نفوذ جدها ووالدها وتمسُّك هلا بها.

فهد يزور شربل في مكتبه فيقابله شربل مقابلة باردة ويعرفه أن هلا حكت له ما حدث فيهدده بأنه عليه أن يحل هذه المسألة في أسرع وقت، فهو لن يقبل بالفضائح أو بجرح قلب ابنته لأي سبب أيا كان، فيعلم فهد مدى نفوذ شربل وما يستطيع فعله؛ فهو من الممكن أن يأخذ منه كل شيء؛ شغله وماله وعائلته وكل ما يملك ويطرده خارج البلد إن أراد، فيخرج فهد

من مكتب شربل وهو في غاية القلق والاضطراب الفكري ثم يقف للحظات ويتحدث مع أحد الحراس الخاصين به فيبدو وأنه يخطط لشيء ما.

كارما تذهب إلى السفارة المصرية بلبنان وتعرض لهم الأوراق التي حصلت عليها والتي تثبت أن المدعوة دارين فهد الصاوي ابنتها وليست ابنة هلا شربل حداد وتتهم زوجها السابق فهد الصاوي بخطف الطفلة وتزوير أوراق وفاتها فتطلب محامي دولي ليرفع لها القضية ضد فهد وهلا اللذين تعتبرهما خاطفين لابنتها فيعلم المسئولين بالسفارة اهمية رجل الأعمال شربل حداد في لبنان فيحاولون الاتصال به ومحاولة حل الموضوع وديًا في البداية ولكنهم يفشلون فيضطرون إلى تحويل الموضوع إلى قضية لتتحول إلى قضية رأي عام في خلال ساعات من انتشار الخبر مما يزعج شربل كثيرًا ويؤثر على أسهم شركاته في البورصة، فتحاول كارما بكل الطرق الممكنة الحصول على دارين فتشعر بالظلم والقهر ولا تعلم لماذا يحدث معها كل ذلك بالرغم من أنها لم تؤذِ أحدًا من قبل، وكانت

مسالمة دائمًا، فتتحول من سيدة هادئة صبورة تفرح من أقل كلمة أو أبسط فعل إلى سيدة لا يكفيها أي شيء ولا ترى جمالًا في الدنيا ولا تشعر بأي مشاعر وتعلم أنها لن ترجع كما كانت إلا لو تلاقت روحها مع روح ابنتها مرة أخرى.

وفي ليلة وهي نائمة في الفندق ترى نفسها تجري في مكان به أنهار وأشجار وثمار ووجوه شابه مضيئة مستنيرة جميلة جمالًا يفوق الخيال فتجري من بينهم مسرعة تبحث عن شيء تفتقده وتردد وهي غير مصدقة أنها لا تجد ما تبحث عنه:

«أنا كارما، أنا العدل الإلهي»

ثم يتحول المكان إلى ظلام وسواد وأرض بور، والوجوه من حولها كئيبة مظلمة جهلة قبيحة فتستيقظ مفزعة مما شاهدته في الحلم الذي تحول إلى كابوس فتستغفر الله وتدعو:

«يارب خلصني من نفسي.. خلصني من البحث عن العدل الإلهي.. خلصني من الشبح اللي بيطاردني.. يارب»

في يوم وكارما في طريقها إلى الفندق عائدة من السوبر ماركت تلاحظ سيارة سوداء تراقبها ثم تتعرض إلى إطلاق نار فتجري مسرعة فتنجح في الإفلات منها بين الشوارع الضيقة بجانب الفندق وتنتظر حتى تختفي السيارة فتخاف أن ترجع إلى الفندق ثم تتصل بسيف لتحكي له عن ما يحدث معها فيتصل بدكتور صديقه يعيش في لبنان مع زوجته وأولاده فتستقل تاكسي وتذهب إلى العنوان الذي أعطاه لها سيف فيستضيفها الدكتور وعائلته في منزلهم ويتأثرون لحالها ولما تمر به من صعوبات.

يرجع فهد إلى الفيلا محاولًا الاعتذار لهلا عما بدر منه من خداع في بداية زواجهما ولكنها لا تسامحه، وبالرغم من ذلك فبجدية وثقة تستسلم للموقف الذي تعيشه وتضع يدها في يده للتصدي لكارما بكل الطرق الممكنة لإفشال خططتها في الحصول على البنت،

فيوعدها بأنه لن يعطي كارما الفرصة لتصل إلى مرادها ثم يستعدان إلى الخروج لحضور حفل ضخم يحضره المشاهير ورجال الأعمال، وهما في الطريق يتعرضان لحادث فتحترق بهما السيارة ويذهبان ضحية لهذا الحادث المؤلم فينتشر الخبر فتذهب كارما إلى السفارة المصرية في صباح اليوم التالي لتجد البنت في السفارة، فلقد أوصلها جدها شربل إلى السفارة بعد الحادثة مباشرةً؛ فضميره يؤنبه معتقدًا أن ما حدث هو انتقام إلهي من ابنته وزوجها لحرمان هذه الأم من ابنتها فيتنازل لها عن البنت ويأخذ هو الطفلين الآخرين ليربيهما، ويترك جوابًا لكارما يعتذر فيه أيضًا عمَّا بدر منه معها من قبل فهو الذي خطفها من أمام الصيدلية، وحاول أن يهددها بأن تبتعد عن فهد؛ فكان يعلم قصتها منذ البداية ولم يحكي عنها لهلا أو لأي شخص ليحافظ على مصالحه مع فهد وليستفيد من ذكائه وعمله معه، فحكى له موظف من الموظفين عن زياراتها لفهد في الشركة والفضائح التي تسببها فقلق وقتها على ابنته وسمعة العائلة وقرر أن يهدد كارما بعد ذلك، ولكن كارما مريضة فصام فهي مصابة

باضطراب نفسي لا يستطيع الشخص المصاب به التمييز بين الواقع والخيال، فما فعله معها شربل عند خطفها لن تتذكره كما حدث ولكنه يؤثر على حالتها النفسية سلبًا ويدخلها في عالم أعمق من الذي تغرق فيه.

تقترب كارما من البنت لتجدها تبكي بخوف وهي تردد أنها تريد أن تبقى مع إخوتها وأهلها، فتأخذها كارما في أحضانها وتوعدها بأنها إن لم تكن سعيدة معها سترجعها إلى جدها ويسلمها المسئول في السفارة جوابًا من الجد مكتوب فيه تفاصيل عن حالة دارين المرضية فهي تعاني من مرض في القلب ويجب أن تأخذ دواءً يوميًّا ويطلب من كارما أن تسامحه وأن تسامح هلا، وأن ترعى دارين وتحافظ عليها، فتمسك بيد البنت وتخرج من السفارة وهي غير مصدقة أنها حصلت على ابنتها مرة أخرى بعد هذه السنوات الطويلة، فكأنها ملكت الدنيا وما فيها.

ترجع كارما القاهرة لتجد سيف في انتظارها في المطار وعند رؤيته لكارما يشعر بسعادة غامرة غير

مصدقٍ ما يحدث فتجري كارما عليه وتعرفه على دارين التي لا تزال في حالة نفسية سيئة، فيأخذهما سيف إلى الشقة التي كانت تعيش فيها كارما أثناء مرضها ليختبرها فهل شفيت بالفعل؟! أم لا يزال المرض يطاردها؟! فتدخل كارما إلى الشقة فيصفر وجهها للحظات ثم تنظر إلى دارين فترجع لها الروح مرة أخرى وتقترب من سيف لتشكره على كل ما فعله لأجلها فيعرض عليها الزواج فترتبك، ثم تطلب منه أن يعطيها فرصة لتنفرد بابنتها بعض الوقت قبل الزواج به فيتفهم طلبها وقبل أن يرحل يعطي لها بعض الطعام الذي اشتراه لها والألعاب للبنت واشتراك قنوات الأطفال وغيره من المفاجآت التي كان يحضرها لهما ويخرج من الشقة تاركًا كارما مع البنت وحدهما.

تحاول كارما إرضاء البنت بشتى الطرق فتعطيها الطعام والشراب والألعاب وتحكي لها القصص والروايات وتفرجها على ألبوم صور وتقنعها بأن هذه صورها وهي طفلة رضيعة ولكن البنت لا تشعر بالراحة مع كارما وتزداد حالتها النفسية سوءًا ولكن كارما

تهرب من هذا الواقع ولا تحاول أن ترى الحقيقة وتقنع نفسها بأن البنت سعيدة معها، وفي مرة حاولت البنت فتح الغرفة التي عاشت كارما فيها مع دميتها طويلًا ولكن انفعلت عليها كارما وأغلقت الغرفة بالمفتاح، وحاولت تفادي هذه الغرفة والتركيز مع البنت وتوالت الأيام حتى بدأت البنت في التأقلم على الوضع الجديد مع كارما والتعلق بها وبحبها لها، وظل الدكتور سيف يتواصل مع كارما يوميًّا ويطمئن عليها وعلى دارين ويجلب لهما جميع احتياجتهما حتى بدأت دارين في التعلق به هو الآخر والتعود عليه مما شجع كارما على اتخاذ خطوة الزواج من الدكتور سيف وعاشت معه ومع دارين أيامًا هادئة ومستقرة، ولكن سيف كان دائمًا يشعر بأن هناك شيئًا ينقصه في تحليل حالة كارما؛ فطبيًّا من المستحيل أن يتم شفاؤها بهذه الطريقة ولكن حبه لها يجعله يتغاضى عن كل ما تعلمه خلال مشواره الطبي، وعاش معها ومع دارين أحلى أيام حياته، فكانت كارما تضحك وتلعب ويضج في قلبها النشاط والحيوية وكانت دارين تتقرب منها شيئًا فشيئًا حتى أصبحت ظلًا لها يتبعها ويشجعها ويشعر

بها في كل لحظة تعيشها، وظل يستمتع بهما. وفي ليلة اخذ سيف كارما إلى عشاءٍ رومانسيٍّ.

- ماكنتش أعرف إني هبقى أسعد واحد في الدنيا وانا معاكي بالشكل ده.. أول مرة شُفتك عرفت على طول إن إحساسي بيكي مختلف.. غير إحساسي بأي ست عرفتها.. شديتيني ليكي بكل حاجة فيكي.. حتى مرضك اللي فضلت سنين أتعلم إزاي أحاربه بالطب حببتيني فيه.. بقى جزء منك اتعلقت بيه معاكي.. حتى بنتك اللي من راجل تاني.. حبيتها عشانك.. فعلًا الحب ده غريب أوي بيطلع من الواحد حاجات عمره ما كان يتخيل إنه يعملها.. بيخليه واحد تاني.

تنظر كارما إلى سيف وباهتمام:

- بتشوف منى؟!

- منى!!! لأ مابشوفهاش من ساعة ما جتلك المستشفى.. بس ممكن أروح عند باباكي أسألِّك عليها.. أكيد نِفسك تعرفيها على دارين.

- نفسي أعرَّفها إزاي عرفت أجيب دارين.. نفسي أعلمها اللي اتعلمته من الدنيا عشان أقصَّر عليها الطريق.. إزاي قِدِرت أحقق قانون الكارما اللي اتسميت على اسمه واتصدمت فيه في الأول.. أصلي كنت فاكرة إن حقي هيجيلي لحد عندي وبسرعة.. واستنيت واتعذبت كتير لحد ما قررت إنه لا حقي هيجيلي في المكان اللي أنا عايزاه ولا في الوقت اللي أنا محدداه فقررت أنا أتصرف واجيب حقي بإيديا.

يتعجب سيف من حديث كارما المريب ولكنه كعادته يتغاضى عن كلامها ويركز في عينيها وفي حبه العميق لها ليعيش اللحظة التي يشعر أنه حصل عليها بصعوبة وبعد صبر طويل وحتى لا يعطي نفسه الفرصة ليشعر بالخوف ألا تدوم هذه اللحظة.

* * *

استشعار محبة الله

بعد عدة شهور ظهر على كارما الحمل وعلمت أنها حامل في بنت فشعرت لحظة معرفتها بالخبر أن هذه هي لحظة امتثال قانون الكارما لها، وفي يوم وهي في شهور الحمل الأخيرة اقتربت كارما من باب الغرفة المغلق، الغرفة التي تتفادى دخولها أو حتى النظر إليها منذ قدومها من لبنان، الغرفة التي توجد فيها ذكرياتها وأحاسيسها وآلامها وروحها، فهي تريد أن تسترجع أحلامها المدفونة داخل هذه الغرفة، فتفتح الباب وتدخل بخطوات ثابتة وكأنها تختبر نفسها؛ فهي لا تشعر بدقات القلب السريعة ولا بضيق التنفس الذي كانت تعاني منه، ولا برعشة يديها وتنميل رجليها، فهي لا ترى ما كانت تراه ولا تسمع الأصوات التي كانت تسمعها، فتقترب من سرير الطفلة لتجد دميتها كما كانت دائمًا تنتظرها في السرير، ثم تدخل عليها دارين التي تعجب كثيرًا بالغرفة وتمسك بالدمية وتحملها من على السرير فتنفعل عليها كارما وتأخذ

منها الدمية وتضعها في الدولاب وتغلقه فتغضب دارين وتخرج مسرعة من الغرفة.

تجلس دارين على السرير تبكي بحرقة فتدخل عليها كارما وتحدثها بهدوء:

- ماتزعليش منى أنا خايفة عليكي تشوفي اللي أنا شفته.. العروسة دي أصلها مش مجرد عروسة زي ما انتي شايفاها دي كانت أول هدية جبتها لبنتي من قبل ما تتولد.. وكانت هي الحاجة اللي عوضتني عنها سنين طويلة بعد ما شفت عذاب ماحدِّش حس بيه والمشكلة إن ماحدِّش استحمله من البني آدمين.. كل الناس كان همها أنسى وأبدأ من جديد.. فيه بِعدوا من الأول وخافوا على مصالحهم وسُمعتهم زي باباكي وفيه عملوا المستحيل إني أخف عشان أرجعلهم أساعدهم في حياتهم وفيه زعلوا عليّا وماكانوش يقدروا يعملوا أي حاجة زي بابايا لحد ما قابلت سيف.. هو الوحيد اللي ماكتبليش الروشتة مع إنه دكتور.. حس بيَّا ووقف جنبي بإحساسه اللي وصلني من أول مقابلة بينا وبالرغم من إني كنت مجرد شبح قدامه

كان مؤمن بيّا سواء فضلت زي ما أنا أو رجعت زي ماكنت أو بقيت واحدة تانية خالص.. كان دايمًا جنبي.. ده كان عايز يتجوزني وأنا مجنونة في المستشفى.. ماخافش منّي وماقلقش على سمعته وشغله يتاثروا.. بالعكس ساب كل حاجة عشان يبقى جنبي لدرجة إني كنت كتير بحسده على سعادته اللي كانت بتبان في عينيه كل مرة يشوفني فيها..

أنا اتحرمت من أمي.. اتحرمت من حضن يحسسني بالأمان ودورت وسط أهلي وصحابي ملقتش حضن يعوض حضن أمي عشان كده قررت ما أحرمش بنتي من الإحساس ده أبدًا.. وما أتحرمش أنا كمان من إحساسي لما بتبقى في حضني لما الدنيا كلها بتبقى ملك إيديا.. بس وهي في حضني كنت برضو بحس إني خايفة وماعندناش حد نتسند عليه أنا وهي.. كنت بدعي ربنا ليل نهار ما أتحوجش لحد غيره سبحانه وتعالى بس كنت بفشل وبحس بضعف وأنا وهي لوحدنا لحد ما راحت ومافضليش من روحها حاجة غير العروسة دي اللي لما كنت بآخدها في حضني

ماكانش بيبقى ناقصني حاجة.. كنت ببقى أقوى واحدة في الدنيا ومش محتاجة لحد غير ربنا.. كنت بضحك وبلعب وبتكلم معاها ومابشِلش هم بكرة.. كنت عايشة زي الناس لأ يمكن أحسن من الناس كمان..

عرفتي بقي العروسة دي تبقى لي إيه؟ دي الدنيا اللي كنت بخش فيها أنسى الهم والظلم والقسوة اللي شفتهم.. بس للأسف كل اللي حواليا عملوا كل اللي يقدروا عليه عشان يخرجوني من الدنيا دي وأرجع اعيش في دنيتهم تاني فاستسلمت وحاولت ارجع تاني لما لقيتك.. بس دلوقتي أقدر أقول إن الدنيا دي انتهت.. بقت ذكرى حلوة وإني ببدأ ارجع لدنيتهم..

ثم تضع يدها تتحسس بطنها:

- عشان خاطر بنتي..

دارين تنظر إليها باندهاش:

- وأنا؟!

كارما بجدية لدارين:

- إنتي مش بنتي..

تنظر إليها دارين مصدومة غير مصدقة ما سمعته فبهدوء تؤكد لها كارما أنها ليست ابنتها.. فلقد انتظرت كارما وقتًا طويلًا رجوع ابنتها لها وعند وصولها إلى لبنان كانت تظن أنها ستجد ابنتها بسهولة ولكن القدر لم يحقق لها ما تمنته وعند ذهابها إلى المشتشفى لتتأكد من تفاصيل ولادة دارين من ملفها الخاص لم تجد ما يدل على عدم بنوتها لهلا فبدأت كارما في التعرف على الممرضة ثم طلبت منها ترك الملف معها في المستشفى لتتفحصه وطلبت منها شايًا فاستغلت الوقت وزورت نوع دم دارين في الورق الخاص بولادتها عن نوع الدم المكتوب في الورق الخاص بعلاجها لإثبات أنهما طفلتان مختلفتان ثم أعطت الملف للممرضة مرة أخرى فكانت متأكدة أن هلا ستذهب إلى المستشفى للتأكد من كلام كارما وأخذت صورة من الملف وبدأت خطتها لأخذ دارين بدلًا من ابنتها وكانت أيضًا تعلم أن فهد وشربل لن يتركاها

ففي يوم ذهابها لهلا فكت فرامل سيارة فهد فكانت تعلم أنهما سيذهبان إلى الحفل الذي سيحضره جميع رجال الأعمال والمشاهير، فانقلبت بهما السيارة واحترقا بداخلها، فبالفعل تخلصت منهما ليبقى شربل حزينًا ضميره يؤنبه ليجلب لها دارين إلى باب السفارة ليكفر عن ذنب ابنته وزوجها وبهذا تحقق كارما ما ذهبت من أجله وتثبت أن دارين ابنتها وتحصل عليها بالرغم من أنها ليست ابنتها والحقيقة هي أن ابنة كارما توفت بالفعل بعد ولادتها بستة أشهر وفاة إلهية ولم تستطع كارما تحمل الموقف واتهمت زوجها حين ذلك بالتقصير والإهمال وتخيلت أنه هو سبب الوفاة وأصيبت بمرض الفصام حتى تقوقعت داخل العالم الذي صنعته لتعيش بداخله مع دميتها التي تخيلت أنها ابنتها، وعند هذه النقطة لم تكن كارما خطرًا على المجتمع، ولكن الضغط عليها لتترك هذا العالم الذي اختارت لتعيش داخله في سلام وخروجها منه غير سوية هو السبب في استخدامها للعنف والشر والقسوة؛ فهي لم يتم تعافيها ليتم خروجها لمواجهة العالم الخارجي في ذلك الوقت فتجريدها من دميتها

كان بمثابة تجريدها من آخر شيء يبقى لها ويحافظ على ما تبقى من إيمانها، فبمجرد التنازل عن الدمية تم التنازل عن أي مبادئ للحصول على بديل الدمية وهي الابنة التي لم توجد ولكنها صممت أنها يجب أن تكون موجودة؛ فمن وجهة نظرها أنه من العدل أن تكون موجودة، وعلى زوجها السابق ومن معه دفع الثمن غاليًا لتحصل هي على ابنتها وإيمانها الكامل مرة أخرى، فإن لم يمتثل لها قانون الكارما فسوف تحققه بيديها لتحصل على ما تريد.

تظل تبكي دارين لعدة أيام وتتدهور حالتها الصحية فتطلب الرجوع إلى إخوتها وجدّها وتوافق كارما على طلبها فهي لا تشعر تجاهها ما كانت تشعر به من قبل؛ فتشعر الآن أنها غريبة عنها، فملامحها، ولهجتها، واهتمامتها، وغيرها من صفات دارين لا تتناسب مع ما تريده كارما في ابنتها التي تشعر بها الآن داخلها.

يصل سيف إلى المنزل ليجد كارما برفقة دارين وحقيبة سفرها فتبكي دارين وتحتضن سيف بتأثر وتودعه فهو لا يعلم ماذا يحدث ولكن تبتسم له كارما

ابتسامة مريبة فيبدأ في تدارك الموقف فيصاب بدوخة خفيفة ويجلس على الكنبة غير مصدقٍ ما يقوله له عقله، فالأمور واضحة الآن له كطبيب فكارما لم تتماثل إلى الشفاء منذ البداية، فتعلقها بالصورة التي رأتها في الجرنال جعلها تريد أن تحصل على دارين لتحل محل الدمية، ولكنها في الحقيقة لم تكن تتعافى، وكانت تعلم أن ابنتها ذهبت ولن تعود، ولكنها كانت تبحث عن الكارما، تبحث عن التعويض، فلماذا يعيش زوجها السابق شريكها فيما حدث حياة سعيدة بعد وفاة ابنتهما، لماذا كان من السهل عليه تخطي هذه المحنة وهي لم تتحمل أن تتخطاها وتم تركها وحيدة مطلقة مدفونة مع دميتها؟! فكان عليها أن تتخلص منه ومن جميع من يقف في طريقها للاستمتاع بابنته من زوجته الأخرى كردّ فعلٍ طبيعي لما حدث فيها، فكانت دارين هي البنج لكارما حتى يقرر القدر ما سيفعله بها.

تصل دارين لجدها في لبنان وتلتحق بإخوتها وتحكي لجدها ما حدث معها من كارما فيستعد للانتقام منها

في أسرع وقت ولكن يشتد على دارين المرض وينشغل معها في علاجها من مرض القلب الذي يطاردها، فيبدو وأنها لم تكن تأخذ علاجها بشكل مستديم.

* * *

التوبة

كارما تذهب إلى منزل والدها فتفتح لها سيدة تبدو منحرفة فوجدت الشقة تحولت إلى صالة قمار فتبحث في الوجوه عن والدها حتى تجده غير مدركٍ ما يحدث حوله فتقترب منه فيرحب بها دون أن يتأملها فتجلس بجانبه..

- تعالي يا حلوة شوفي حظك..

ويستمر في لعب القمار فتنظر إليه غير مصدقة ما وصل له من ضياع فهو لم يلاحظ أنها حامل، فهو لم يتعرف عليها من الأساس، فالجميع في الشقة لا يشعرون بشيء، يشربون الخمر ويضحكون ويلعبون على المال ليكسبوه فيشتروا به الخمر ويلعبون به مرة أخرى، فهم في دائرة مفرغة مغيبين عمَّا يحدث خارج عالمهم، فتقف كارما وتنظر إلى والدها وتحدثه بلهجة لوم وحزن ووعيد وشفقة ومشاعر عديدة مرتبكة.

«سمّيتني ليه كارما؟! زرعت جوايا مبادئ قانون كنت مؤمن بيه في يوم من الأيام وفي الآخر ماعملتش بيه حاجة.. ماحاربتش عشانه ليه؟! سِبتني أحارب لوحدي ليه! أنا زيك بالظبط دورت على دنيا أهرب منها من الحقيقة المُرة اللي صدمتني.. دنيا ألاقي فيها بنج ينقذني من الألم اللي بعيشه كل يوم.. بس أنا بنتي اتخطفت من جوه حضني، إنما إنت ربنا إداك كل اللي تحلم بيه.. بتهرب من إيه؟! كل حاجة ماكانتش بتعجبك.. صممت ماتشوفش أي حاجة حلوة حواليك ربنا إداهالك.. اخترت تعيش الحياة دي وتهرب وسط الضياع ده.. ليه يا بابا ليه؟! ليه عملت كده في نفسك وفيَّا ليه؟!»

ينظر إليها بدران ويضحك بصوت مرتفع ثم يحدثها ساخرًا:

«كارما.. مش طلع مافيش كارما.. الكارما طلعت بلح.. تعالي جنبي وانسي.. انسي والعبي واشربي.. مفيش حاجة اسمها كارما..»

سيدة بسخرية:

«إنتي زعلانة يا حلوة أن اسمك كارما.. خلاص غيري اسمك احسن بدل الهم ده.. هههههه..»

تنظر كارما إليهم بضيق وهم يضحكون ويسخرون منها وتنظر إلى والدها بحزن وتخرج مسرعة من الشقة وهي في حالة نفسية سيئة وتذهب إلى عنوان أعطته لها صديقة للعائلة توجد به منى، فتصل لتجد أنه عنوان كباريه، فتتعجب وتعتقد أن هناك خطأ في العنوان ولكنها تجد أمامها صورة أختها منى على يافطة أمام الكباريه مرتدية بدلة رقص فتجري كارما مسرعة داخل القاعة لتشاهد منى ترقص على المسرح، فتنظر إليها غير مصدقة ما تشاهده، فكيف أن تكون هذه منى الطالبة الجامعية التي ربتها وهي طفلة على المبادئ والأخلاق الحميدة؟! فتتذكر كارما بعد وفاة والدتها ما كانت تفعله مع منى وذكرياتهما سويًا وتدمع عيناها مع كل حركة من جسد منى، تتأزم كارما مع كل غمزة من رجل من الحضور لمنى، ينكسر قلب كارما مع رقص منى، مع ضحكات الحضور من فتيات الليل، مع

الجنيهات التي تتساقط على رأسها لتغطي جسدها، فترجع إلى الخلف وهي تترنح من الصدمة وتبكي بحرقة وتتذكر:

«مالك يا حبيبتي؟! زعلانة ليه!»

«حفلة التخرج الخميس الجاي وماعييش فلوس أجيب فستان أحضر بيه الحفلة ولو واخدة بالك أنا مارُحتش الكلية أستلم الشهادة عشان معييش ادفع الاتوبيس.. أنا بفكر أشتغل أي حاجة.. حتى لو رقاصة.. بس ما أحسش الإحساس ده تاني..»

«إنتي اتجننتي يا مني.. أنا إديتك كل حاجة طول السنة واتخرجتي بمجموع عالي الحمد لله.. تعملي كل ده عشان حفلة التخرج.. مش مهم الحفلة خالص»

«عارفة أنا بكلمك عن أنهي إحساس؟! إحساس الذل.. أنا عمري ما حسيت بالفقر ولا بالخوف طول ما انتي جنبي بس حسيت بالذل بسبب الراجل اللي بره ده

اللي لو كانوا خيروني قبل ما آجي الدنيا دي عمري ما كنت هوافق آجيها طول ما الراجل ده أبويا»

تخلع كارما «غويشة» ذهب من يدها وتعطيها لمنى..

«بس دي غويشة ماما!»

«لو ماما كانت معانا دلوقتي ماكانتش هتستحمل تشوفك كده وأنا مش زي ماما بس يا منى.. أنا أختك وصاحبتك وحبيبتك وأمك وكل حاجة بالنسبة لك ولو دي اللي هتسعدك خديها بس ما أسمعش الكلام ده تاني.. أرجوكي يا منى.. كل واحد عايش في الدنيا دي عنده مشكلة أو أزمة بيمر بيها لازم يستحملها ويصبر عليها لحد ما حقه يرجعله»

«ولو مارجعش؟!»

«هيرجع.. لازم يرجع»

تخرج كارما من الكباريه دون أن تتحدث مع منى وهي تلوم نفسها على ما وصلت إليه أختها، وتسأل نفسها:

«هو أنا ليه ماحستش إنك كفاية يا منى؟ ما انتي حتة منى برضو! عشت معاكي أكتر ما عشت معاها بكتير أوي.. كنتي بنتي وأختي وصاحبتي وكل حاجة ليّا.. إزاي سِبتك تواجهي الدنيا اللي أنا متأكدة إنك ما اتعلمتيش تواجهيها؟ ليه سِبتك وأنا عارفة إنك ماتقدريش تكملي لوحدك فيها؟ سِبتك وانتي مجروحة.. سِبتك وأنا عارفة إن دي آخرتك وماحاولتش اعملك حاجة! مش عارفة إزاي عملت كده وليه بس للأسف ده اللي عملته وماكنتش هعمل غيره»

ترجع كارما بيتها وهي تشعر بالندم على ما فعلته بمنى وبدارين وبوالديها وبسيف، فبدأت أن تقترب من آخر خطوة في رحلة الإيمان، ولكنها أصعب خطوة وتحتاج إلى عزيمة وإرادة لتخطيها، تحتاج إلى التخلي عن قانون الكارما الدنيوي، واليقين بأن قانون الكارما هو قانون على مستوى آخر، يمتثل للمظلومين في وقت ومكان غير معلومين، ولا يستطيع أحد من البشر تحقيقه إلا بإرادة الله، فتتوصل لحقائق تغيِّر من نظرتها إلى الأمور تدريجيًّا.

تستعد كارما لتستقبل مولودتها الجديدة ولكن يتدخل القدر ليحرمها من ابنتها للمرة الثانية، فتخرج كارما من عملية الولادة التي كانت متعثرة وهي في حالة صحية صعبة فتفقد خلال العملية الطفلة، وفي نفس الوقت يزداد مرض دارين ويصبح الدواء غير مُجدٍ وتتدهور حالتها إلى أن يفقدها جدها وتلحق بوالدها ووالدتها.

كان يتواصل الدكتور سيف مع دارين عن طريق جدها، فلقد تعلق بها وشعر ناحيتها بالأسف الشديد لما حدث معها، وعند علمه بخبر وفاتها حالته النفسية بدأت أن تسوء فهو يشعر بأنه له يد فيما حدث لها ولا يتركه ضميره لحظة دون تأنيب، فماذا فعل؟! كيف أخرج مريضًا نفسيًّا إلى الدنيا ليعبث بها بهذا الشكل؟! فهو كان يعلم أن كارما لا يمكن أن تتعافى بهذه الطريقة، وكان عليه أن يمنعها من الخروج من المستشفى حتى تنتهي من كورس علاجها وتتعافى نهائيًّا حتى تستطيع أن تواجه العالم الخارجي، فكل همه كان حمايتها من أي خطورة من الممكن أن تتعرض لها ولم يتخيل أنها من الممكن أن تكون هي الخطر الأكبر على

حياة أشخاص آخرين، فمن المجرم؟! هل كارما هي المجرمة؟! أم المجرم هو الأناني الذي تخلى عن مهنته ليشعر بحبه ويحقق حلمه ويستقر في حياته على حساب حياة الآخرين، فماذا يفعل الحب في طريق مسدود؟ وهل الحب من الممكن أن يكون تصريح خروج للمبادئ والعلم والمنطق والضمير الحي، فهو لا يشعر فقط بالندم على مسئوليته فيما فعلته كارما بأهل دارين وبدارين نفسها ولكنه يشعر أيضًا بالجبن فلقد فضل الهروب من الحقيقة التي يعلم أنها يجب أن تكون كما ذكرت في الكتب، حتى بعد تخليه عن ضميره المهني في سبيل الحب، لم يواجه مع كارما قضيتها، تركها تفعل ما خططت له وحدها بالرغم من صعوبة تنفيذ خطتها وخطورتها على حياتها، اختار مقعد المتفرج وكأنه يضعها في اختبار بصرف النظر عما ستمر به من أحداث ستؤثر على صحتها النفسية وعلى مشاعر وحياة من تتعرض لهم ويتعرضون لها، فهو كان يريد أن يتحقق حلمه على الجاهز دون مجهود، دون تضحية، يخسر مبادئ العمل ولكن لا يخسر العمل، فأنانيته جعلته يترك منى تضيع من

كارما، وكارما تختفي من حياة منى، لا يهمه العلاقة القوية التي كانت بينهم والتي يعلم تفاصيلها وأهميتها لكل منهما، اختار أن يزيح منى من طريقه لتبقى كارما له وحده ويبقى هو لها وحدها هي وابنتها، هي وروحها التي تبحث عنها في أوهامها؛ فهل الحب الذي يفعل كل ذلك حبًّا مفيدًا إيجابيًّا؟ الحب الذي يحول الشخص الذي يحب إلى شخص مسيطر أناني أعمى القلب والبصيرة، ويحول الشخص المحبوب إلى شخص مغرور موهوم، أم هو شخص مظلوم، فهل تشعر كارما بما تفعل؟ أم هي مغيَّبة نتيجة مرضها؟ أم جزء منها مريض لا يُحاكَم وجزء اعتمد على حب الدكتور سيف لها فأشعرها بالقوة لتحقيق ما تريده دون التفكير في الوسيلة أو حتى في الغاية!

* * *

الانتكاسة

تخرج كارما من المستشفى ومعها سيف وعلى العكس من المتوقع فبعد معرفتها بما حدث لطفلتها لم تنفعل ولم تصرخ ولم تبكِ بل تبتسم وترجع إلى منزلها وتقف لحظة قبل أن تدخل غرفة الطفلة، ويبدو وأنها تفكر فيما حدث لها، فهي لحظة حاسمة ستحدد اختيارها، ولكن هل اختياراتها تكون بيدها أم هي أسيرة لمرضها؟! فهل تستطيع كارما القبول بالواقع ومواجهته، أم ليس أمامها اختيار غير الهروب منه؟ هل هي بالفعل كانت تمر برحلة إيمان أم كانت تدور في دائرة مفرغة لتصل إلى نقطة البداية مرة أخرى وتمر بنفس الظروف والأحداث فتصل إلى نفس النقطة مجددًا وهكذا تستمر حياة كارما بنفس الأسلوب؛ فالطب أثبت أن كارما مريضة وضحية لما مرت به من ظروف صعبة، ولكن الطب ضعيف في مواجهة التكوين النفسي والعاطفي للإنسان، فهل كان سيمنع العلاج كارما من البحث عن روحها الضائعة مرة أخرى؟ هل كانت ستستسلم لنظرة المجتمع لها

كمريضة أو بالأصح كمجنونة؟ لم تجد كارما حولها أي شيئ او شخصٍ يقنعها أنها من الممكن أن ترى نتيجة الأفعال التي تتعرض إليها في زمن اخر؛ فليس شرطًا أن ترى نتيجة هذه الأفعال في الدنيا مع أن هذا ممكن فالنتيجة الحقيقية لكل فعل يمكن أن تكون في الدنيا أو في الدار الآخرة وبالرغم من إمكانية عدم حدوثها أمام اعيننا في الدنيا فهي مؤكَّدة الوجود:

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (16)» - الطور

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7)وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) – الزلزلة

صدق الله العظيم

ولكن أين؟ ومتى؟ ليس بيد الإنسان معرفة ذلك، ولكن الإيمان بأنها مؤكدة يكفي للثقة بالعدل الالهي، فقانون الكارما قانون دنيوي وهو الإيمان بوجود رد فعل لكل فعل حسب النوايا والأفعال فهناك كارما سلبية، وهناك

كارما إيجابية، ولكن القانون الإلهي أشمَل وأدق، فنحن نعيش في دنيا لا تساوي من الوقت أو الأهمية لما سيأتي بعد انتهائها، فالمنطق أن الأفضل تحقيق العدل في زمن آخر ومكان أفضل مما نحن نعيش فيه، فقانون الكارما قانون أرضي أما القانون الكوني فحدوث الأفعال وردودها فيه أبعد من فكرنا المحدود، أعمق من احتياجتنا، وأشمل من تخيلاتنا؛ فتصرفات الطبيعة وقوانينها الدقيقة أبعد واعلى من جميع مفاهيم ومعاني كلمة قانون.

ما هي الحياة التي سيمتثل إليها قانون الكارما في النهاية في العالم الآخر بالنسبة لكارما، هل يمكن أن تكون الحياة التي كانت تعيش فيها كارما هي الحياة الحقيقية ومرضها هو الواقع الذي يجب أن تواجهه ولم يكن وهمًا كما أوهمها الجميع ولحظة شعورها بالسعادة مع سيف في المستشفى قبل أن ترى صورة فهد وهلا ودارين وإخوتها، هي أول لحظة لشفائها وأول خطوة حقيقية لرحلة الإيمان في حياتها، فهل خلقت لتمرض في هذه المرحلة بعد معرفتها بالحادثة

التي راحت ابنتها ضحية لها؟! أم هي التي اخترعت المرض لتهرب فيه وبه من الحقيقة المرعبة التي لم تتحمل أن تعيشها؟!

تقف كارما أمام باب الغرفة وهي تعلم ماذا سيحدث بالتفصيل فلحظة الانتكاسة تختلف عن لحظة التردد، فعند الانتكاسة تضعف المناعة ويرجع المرض أصعب وأشد مما كان عليه قبل الانتكاسة، ويكون ذلك لعدم التزام المريض بالعلاج الصحيح له أو لظروف طارئة ظهرت دون ميعاد تتدخل لتعرقل رحلة العلاج التي يعيشها المريض، فيُرهَق المريض وكأنه يفقد الأمل فلا يجد إلا حلًّا واحدًا وهو لا يشعر، فهي لحظة تختلف عن جميع اللحظات التي عاشتها كارما فهي لحظة البرمجة التي ستخطو بكارما خطوات محسوبة لا تستطيع أن تقاومها، فأحيانًا تكون الانتكاسة آخر خطوة في خطوات المرض ليرجع المريض في صحة أفضل بعدها، وأحيانًا تكون الانتكاسة هي النهاية هي خطوة الفشل في رحلة الإيمان وعلى المريض أن يبدأ بعد الانتهاء منها من جديد بخطوات الإيمان ليجد

نفسه السوية في النهاية، فهل كارما سترجع بعد الانتكاسة لتعش حياة طبيعية؟! أم ستظل سجينة الدنيا التي تهرب فيها من إحساسها بالضياع والظلم والقلق والتوتر والحزن واليأس والضعف؛ فهل ستظل محرومة من متعة الشعور بالرضا؟! وهل هي تعلم من الأساس لذة الشعور بالرضا؟! أم كانت مُسيَّرة في طريق طويل مظلم تشعر أن هناك في نهايته ضوءًا فتحاول الوصول إليه بأي طريقة، وقبل أن تصل بخطوة تقع على الأرض ولا تخطو آخر خطوة ثم تقف وترجع إلى الخلف ولكن هل لتبدأ من جديد؟! أم لتستقر في عالم من خيالها، عالم مريح لها نفسيًّا، ولكنه متعب جسديًّا فبالرغم من تصنيفه كمرض نفسي، فهو مريح نفسيًّا، فلماذا يصنف كمرض نفسي بالرغم من راحتها النفسية في هذا الوضع الوهمي للجميع؟! ولماذا لا يكون عالمنا الحالي الواقعي هو العالم الافتراضي وعالم كارما الذي تعيش داخله هو العالم الذي عليها أن تتعايش معه وعلى من يحبها أن يعيش فيه معها، فمن الممكن أن تكون وجدت نفسها في هذا العالم وتمر برحلة إيمانها داخله، فهل عبث

الإنسان بعالم كارما الخيالي حتى أوصلها إلى حالة الانتكاسة التي تعيشها حاليًا؟ فهل كان قرار خروجها من المستشفى جريمة راح ضحيتها أبرياء ليس لهم أي ذنب في مرضها، أم كان قرار اعتبار مرضها مرضًا من البداية غلطة دفعت كارما ثمنها هي ودارين ومنى وفهد وهلا؟، أم لم يكن أحد يستطيع أن يمنعها من الخروج ومن مواجهة مصيرها ومرورها بهذه الخطوات الفاصلة في حياتها؟ هل الهروب كان قرارًا من كارما أم مرضًا محكومٌ عليها به؟! هل نيتها في تخطي المرض كانت صادقة أم مزيفة؟ فتخبطها وسط الرحلة كان امتحان من عند الله سبحانه وتعالى، فهل شعرت به وامتحنته ففشلت؟! أم النتيجة كانت محسومة نظرًا لمرضها وعدم سيطرتها على نفسها؟! وهل استشعارها بمحبة الله سبحانه وتعالى كان شعورًا حقيقيًا أم مجرد حلقة وصل لتستكمل ما خططت له؟! ولكن الخطوة التي لا يختلف عليها أحدٌ هي الخطوة التي أخذتها بعد شعورها بروح ابنتها مرة أخرى داخلها أيًا كانت الخطوة وأيًا كان المسمى لها فهي مؤكدة، ولكن مكتوب على كارما ألا تشعر بهذا

الشعور مدة طويلة ولكن من الذي وضع طول المدة؟! فليس هناك طول محدد لأي مدة يعقله الإنسان؟ فمن الممكن أن يكون هذا الشعور مخزونًا لكارما في زمن آخر بمدة تعادل مئات أو آلاف السنوات، ومن الممكن أن تكمن الروح التي تبحث عنها معها بجانبها في شيء ما يخصها تخلت عنه وهو سر وصولها إلى آخر خطوة في رحلة إيمانها ليكتمل.

تدخل كارما الغرفة وتخطو خطوات ثابتة تجاه الدولاب؛ فتفتحه وتأخذ الدمية منه وتذهب تجاه الكرسي الخشبي الهزاز بنفس الخطوات الثابتة..

«يارب.. رزقتني بابنتي من غير حول منِّي ولا قوة، والقدرة منك وحدك فهَب لي القدرة على رعايتها والرزق من عندك وحدك فارزقني لتلبية احتياجتها ولا تحوجني لأحدٍ من خلقك فأنت الواحد الأحد المسيطر على هذه الدنيا فلا تتركني أضعف من الإيمان بقدرتك العظيمة في الحفاظ على ابنتي..»

تجلس كارما أمام النافذة في غرفة ابنتها الرضيعة على كرسي خشبي هزاز وهي تحمل طفلتها (دميتها) النائمة في حضنها وتدعو الله بصوت خافت؛ فالأمطار غزيرة في الخارج ونقط الماء تسقط على زجاج النافذة بقوة كالرصاص والسماء تهتز من الرعد وتزداد احمرارًا من البرق ولكن كارما تجلس أمام النافذة بثبات مستكملة دعاءها فهي لا تشعر بالبرد ولا تخاف من صوت السماء المفزع.

من أنتِ أيتها الملاك الصغير لتفعلي بي كل ذلك؟! فهل على أن أقبل أن أتخلى بهذه السهولة عن قطعة من قلبي؟! عن جزء من جسدي؟! عن روح من روحي؟! لماذا أتيتِ لحياتي، ولماذا تركتِها بهذه السرعة تاركة الألم والوحدة والضياع من بعدك.. من أنتِ لتفعلي بي كل ذلك؟! هل كنتِ وهمًا منذ البداية؟! وإن كنتِ وهمًا فسأظل أعيش وهمك حتى النهاية، فالوهم في هذه الحالة يعد لي الأمان عوضًا عن الخوف الذي لا أستطيع أن أتحمله في مواجهة الحقيقة، فمن أنتِ أيتها الملاك الصغير لتفعلي بي كل ذلك؟! غيرتي

حياتي ولمستي مشاعري وأطلعتِني على دنيا لم أكن أعلم عنها شيئًا، هل حياتي معكِ كانت لعبة؟! وإن كانت لعبة فهي لعبة الحياة التي أبحث عنها منذ نشأتي، من أنتِ لتفعل ضحكتك بي كل ذلك؟! ضحكتك البريئة التي لم تفارق خيالي لحظة، من أنتِ لتفعل عيناكِ بي كل ذلك؟ فمن أول مرة فتحتي عيناكِ لتنظري إليَّ بكل طيبة واحتياج وحب لم أستطع مقاومتك فضممتك بشدة بين أحضاني ولم أتوقع للحظة ألا أجدك؛ فمنذ لحظة خروجك مني وأنا أتعهد أمام الله ألا أتركك.. ألا أستغني عنك وألا أخذلك يا ابنتي الوحيدة يا ملاكي الصغير، فمن أنتِ أيتها الملاك الصغير لتفعلي بي كل ذلك؟! هل أنتِ اختبار من عند الله ليختبر سبحانه إيماني؟! هل عليَّ الرضا بفقدانك وفقدان الحياة معكِ؟! وهل سيغضب الله من صدق إحساسي؟ من تمسُّكي بك؟ من عشقي لك؟ هل عليَّ أن أتحمل كل ذلك الألم الذي يوجد مع تقبُّل الواقع المرير بدونك؟! فالحقيقة الوحيدة هي إني لا أستطيع أن أتحمل فراقك، فهل أنا عاصية؟ أنا مجرد أم لم

تتحمل فقدان ابنتها، فيارب الرحمة منك فارحمني وكن معي في رحلتي.. رحلة إيماني.

* * *

الخطوة الأخيرة: الرضا

المراجع

- د.عبد المنعم مصطفى 1994، الأمراض العصبية والنفسية ولا إسراف بالأدوية والمخدرات (الطبعة الالولى) الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر صفحة 138

- د عبد اللطيف حسين فرج 2009، الاضطرابات النفسية (الطبعة الأولى)، الأردن دار الحامد للنشر والتوزيع صفحة 166

- الفصام ، webteb، تم الاطلاع عليه.

عن المؤلفة

إنجي علاء، من مواليد القاهرة – مصر – 3/3/1983

روائية مصرية ومؤلفة ومصممة أزياء، أتمت دراستها الثانوية في مدرسة البي بي سي للغات قبل أن تلتحق بالجامعة الأمريكية، شعبة أساسية إعلام قسم صحافة، وشعبة فرعية علوم سياسية، وحصلت على البكالوريوس في الآداب مع مرتبة الشرف، ودرست دراما وتصميم أزياء في مسرح الفلكي التابع للجامعة الأمريكية، أصدرت المجلة الخاصة بها عام 2007، وأصدرت روايتها الأولى (لعبة إبليس) عام 2013 وحصلت قصتها لعبة إبليس بعد تحويلها لمسلسل تليفزيوني على عدة تكريمات وجوائز أهمهم من (مهرجان الفضائيات- مهرجان القنوات المتخصصة- قناة الحياة التليفزيونية)، كما أنها عملت كمصممة أزياء في عشر مسلسلات تليفزيونية، فصممت أزياء شخصيات مسلسل كفر دلهاب، والقيصر، واختيار إجباري، ولعبة إبليس والصياد، وغيرهم. وتم تكريمها

من عدة جهات سينمائية وفنية كأفضل مصممة أزياء وحصلت على عدة جوائز أهمها من: (مهرجان دير جيست 2018 – مؤسسة وشوشة الإعلامية- اليوم السابع).